مدخل إلى معارف الوحي والتراث الإسلامي

المؤلفون

د. سيتي حواء بنت أحمد

حسن البصري بن عبد الله

زيزي زاريمي بن نور راوي

شافيزان بن جوهاري

معد أحمد خالد

مدخل إلى
معارف الوحي
والتراث الإسلامي

د. سيتي حواء بنت أحمد
حسن البصري بن عبد اللّه
زيزي زاريمي بن نور راوي
شافيزان بن جوهاري
معد أحمد الحاكم

قسم معارف الوحي
مركز الدِّراسات الأساسيَّة
الجامعة الإسلاميَّة العالميَّة بماليزيا

لا يُسمح بإعادة طبع أو نشر أو تصوير هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال، أو حفظه على شكل نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه، كذلك ترجمته إلى أي لغة أخرى؛ دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر

الطبعة الأولى: ١٤٤٦هـ – ٢٠٢٤م

رقم الإيداع الدَّولي:

نشر وطباعة:

PERKASA UMMAH SDN. BHD.
B 60, JALAN IM 7/1
BANDAR INDERA MAHKOTA
25200 KUANTAN, PAHANG

المحتويات

الأسبوع الأوَّل: مفهوم الوحي، وأنواعه	١
الأسبوع الثاني: أنواع الوحي	٦
الأسبوع الثالث: حجية القرآن	١٤
الأسبوع الرابع: نزول القرآن وجمعه	٢١
الأسبوع الخامس: حجية الحديث	٣٠
الأسبوع السادس: تدوين الحديث	٤٠
الأسبوع السَّابع: التوحيد	٤٩
الأسبوع الثامن: تدوين التوحيد	٥٣
الأسبوع التَّاسع: التشريع الإسلامي	٥٧
الأسبوع العاشر: أهمية التشريع الإسلامي	٦٣
الأسبوع الحادي عشر: التمهيد للتراث الإسلامي	٦٧
الأسبوع الثَّاني عشر: التمسك بالتراث وإبراز ضرورته	٧٢

مفهوم الوحي، وأنواعه

الموضوع الأول: تعريف المعرفة، والوحي

مفهوم المعرفة لغة واصطلاحاً:

المعرفة هي الإدراك، وفهم الحقائق من خلال التفكير المجرّد، أو من خلال اكتساب المعلومة عبر التجارب، أو الخبرات، أو التأمّل في مكنونات الأمور، أو التأمّل في الذات، أو الاطلاع على تجربة الآخرين، وقراءة استنتاجاته.

لغةً: من العُرف مضاد النكرة، والعِرْفَان مضادّ للجهل[1].

اصطلاحا: المعرفة تستخدم للدلالة عما تمّ الوصول إليه بتدبير، وتفكير، وهي عبارة عن مجموعة المعاني، والتصورات، والآراء، والمعتقدات، والحقائق التي تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم ظواهر الأشياء المحيطة به[2].

والمعرفة أيضا هي مجموعة الحقائق التي يحصل عليها الإنسان من خلال بحوثه، أو تجاربه السابقة، وتكون على شكل تعريفات، ونظريات، أو فرضيات، أو نماذج، وقياسات، وعلاقات.

فلذلك، يشير هذا التعريف إلى أن المعرفة ما هي إلا محصلة ما يتعلمه الإنسان من خلال دراسته، أو مهنته، سواء كانت هذه المعرفة مجرد تعريفات وفرضيات، أو عبارة عن علاقات مسلم بها، أو ربطها بنفسه من خلال تجربته وعقله.

---

[1] https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%81%D8%A9/.

[2] منتهى شوكة، **مادة مناهج البحث**، كلية التربية الأساسية، قسم معلم صفوف أولى، المحاضرة الأولى.

أقسام المعارف[٣]

تنقسم المعرفة إلى قسمين:

١. **المعرفة الفطرية:** وهي المعرفة الغريزية التي تأتي مع الإنسان منذ ولادته، مثل: معرفة الطفل كيفية الرضاعة، وكيف تفهم الأم أنه شبع من الرضاعة، أو معرفته كيف يبكي، أو يبتسم.

٢. **المعرفة المكتسبة:** وهي التي تُكتسب عن طريق الوعي، وفهم الحقائق، أو اكتساب معلومة عن طريق تجربة، أو من خلال تأمل النفس، أو من خلال الاطلاع على تجارب الآخرين، وقراءة استنتاجاتهم.

مصادر المعرفة

تنقسم مصادر المعرفة إلى ٤ مصادر، هي:

أولا: الوحي: أي ما تلقاه الأنبياء والمرسلين من علام الغيوب. وهذا يتمثل في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.

ثانياً: الحواس

خلق الله سبحانه وتعالى الحواس للإنسان، ومن خلالها يتم استحصال المعرفة. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل:٧٨)

---

[٣] تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، **مجموعة الرسائل الكبرى**، تحقيق: محمد رشاد سالم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٩٢،) ج ١، ص ١٤.

ثالثاً: العقل: ما يميز به بين الحق والباطل؛ والصواب والخطأ، وما كان قادرا على تنمية المعرفة بالاستنباط والاستنتاج، والإدراك، وفهم ما حصل عليه من المعرفة من خلال حواسه.

رابعا: العلم: هو المعرفة المنسقة التي تنشأ من الملاحظة والدارسة والتجريب والتي تتم بغرض تحديد الأسس والأصول.

مفهوم الوحي

أن لفظ الوحي ومشتقاته قد ورد في القرآن ٧٨ مرة بكافة اشتقاقات جَذْره (وحى).

الوحي لغةً:

قال ابن منظور: "الوحي: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك"[٤].

وقال الراغب الأصفهاني: "الإشارة السّريعة، وَلِتَضْمِن السّرعة قيل: أمر وَحْي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرّمز والتّعريض، وقد يكون بصوت مجرّد عن التّركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة"[٥]. وقوله تعالى عن زكريّا: ﴿فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرابِ فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم:١١).

---

[٤] ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤ هـ)، ج١٥، ص٣٧٩.

[٥] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق: الدار الشامية، ط١، ١٤١٢ هـ)، ص٨٥٨.

الموضوع الثاني: مفهوم الوحي من القرآن والسنة

مفهوم الوحي في القرآن

يتناول الوحي بهذا المعنى في القرآن:

١. **الإلهام الفطري للإنسان:** ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ (القصص: ٧)

٢. **الإلهام الغريزي للحيوان، كالوحي إلى النحل:** ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (النحل: ٦٨)

٣. **الإشارة السريعة على سبيل الرمز، كإيحاء زكريا عليه السلام:** ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم: ١١)

٤. **وسوسة الشيطان، وتزيينه الشر في نفوس الناس:** ﴿إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ﴾ الأنعام:١٢١

٥. **ما يلقيه الله سبحانه إلى ملائكته من أمر:** ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾(الأنفال:١٢)

الوحي شرعاً:

وقال الزرقاني: "أن يُعْلِمَ اللهُ من اصطفاه من عباده كلَّ ما أراد اِطْلَاعَه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية، خفية، غير معتادة للبشر[٦]"

---

[٦] الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (د.م.: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ط٣، ج١، ص٢٦.

دليل الوحي:

الوحي شرعيٌ لا عقليٌ، لأنه من الأمور الغيبية التي لا يقع عليها الحسّ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]. وقال تعالى: ﴿وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا﴾ [الشورى: ٥٢]. وقال تعالى: ﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى﴾ [النجم: ٣ – ٤].

ومن هذه الآيات يتبين لنا أن الوحي هو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

الأسبوع الثاني

الموضوع الأول: أنواع الوحي

٣ أنواع وحي الله إلى رسله[٧]:

يوحي الله إلى رسله بواسطة أو بغير واسطة، ولكل منهما أنواع:

الأول: الوحي الذي لا واسطة فيه:

١. **الإلقاء في القلب، يقظة أو مناما، ويشمل النفث في الروع، والإلهام، والرؤية المنامية**، وهذا الإلقاء في القلب يَستيقنُ من أُلْقِي إليه أنه مِن الله، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ **إِلَّا وَحْيًا** أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ (الشورى: ٥١)

- **الرؤيا الصالحة** في المنام للأنبياء هي القسم الأول من أقسام التكليم الإلهي.
  - أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي **الرؤيا الصالحة في النوم...**" وكان ذلك تهيئة لرسول الله ﷺ حتى ينزل عليه الوحي يقظة وليس في القرآن شيء من هذا النوع لأنه نزل جميعه يقظة.
  - ومما يدل على أن الرؤية الصالحة للأنبياء في المنام وحي يجب اتباعه ما جاء في قصة إبراهيم من رؤيا ذبحه لولده إسماعيل: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ،

---

٧ مناع بن خليل القطان، **مباحث في علوم القرآن**، (د.م.: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص٣٤.

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى...﴾ (الصافات:١٠٢). وهذا النوع من الوحي ليس لجبريل عليه السلام واسطةً فيه.

- **النفث في الروع:** وهو نوعان: نوع ليس فيه واسطة، ومنه ما ألقى الله في قلب أم موسى، قال تعالى:" وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" (القصص:٧)، ونوع فيه واسطة، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "إن روح القدس **نفَثَ في روعِي** أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب"–أخرجه الحاكم في المستدرك.

٢. **تكليم الرب لعبده من وراء حجاب:** ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ النساء: ١٦٤. كما ثبت التكلم على الأصح لرسولنا ﷺ ليلة الإسراء والمعراج. وهذا النوع هو القسم الثاني المذكور في الآية: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ وليس في القرآن شيء منه كذلك.

الثاني: الوحي بواسطة

ما يكون بإرسال مَلَك من الملائكة يُبَلّغ ما أمر الله بتبليغه إلى مَن شاء مِن عباده: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ **أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا** فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ (الشورى:٥١).

عن مسروق أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى (وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ) التكوير/ ٢٣ وقوله (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) النجم/ ١٣ ، ١٤: فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ". (رواه مسلم)

الموضوع الثاني

حالات وحي الله إلى النبي ﷺ

لا تخلو كيفية وحي المَلَكِ إلى الرسول من إحدى حالتين:

الحالة الأولى: أن يتمثل له المَلَكُ رجلًا ويأتيه في صورة بشر، وهذه الحالة أَخَفُّ الحالات، حيث يكون التناسب بين المتكلم والسامع، ويأنس رسول النبوَّة عند سماعه من رسول الوحي، ويطمئن إليه اطمئنان الإنسان لأخيه الإنسان. والهيئة التي يظهر فيها جبريل بصورة رجل:

- فتارة يظهر للرسول ﷺ على صورته الحقيقية الملكية (حديث مسروق عن عائشة في الصفحة السابقة).
- وتارة يظهر على صورة إنسان يراه الحاضرون ويستمعون إليه، كما في حديث عمر الذي أخرجه مسلم: "بينما نحن عند رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم ذاتَ يومٍ إذ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثيابِ شديدُ سوادِ الشعرِ، لا نرَى عليه أثرَ السفرِ ولا نعرفُه، حتَّى جلس إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم فأسند ركبتَه إلى ركبتِه ووضع كفَّيهِ على فخذِه ثمَّ قال: يا محمدُ أخبرْني عن الإسلامِ، ما الإسلامُ؟ قال: أنْ تشهدَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهَ وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ وتقيمَ الصلاةِ وتؤتيَ الزكاةَ وتصومَ رمضانَ وتحجَّ البيتَ إنِ استطعتَ إليه سبيلًا. قال: صَدَقْتَ: قال عمرُ: فعجِبنا له يسألهُ ويصدقُه. فقال: يا

محمدُ أخبرني عن الإيمانِ ما الإيمانُ؟ قال: الإيمانُ أنْ تؤمنَ باللهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ والقدرِ كلِّه خيرِه وشرِّه. قال: صدقتَ. قال: فأخبرني عن الإحسانِ ما الإحسانُ؟ قال: أنْ تعبدَ اللهَ كأنك تراهُ فإن لم تكنْ تراهُ فإنه يراكَ. فقال: أخبرني عن الساعةِ متى الساعةُ؟ قال: ما المسئولُ عنها بأعلمَ من السائلِ. فقال: أخبرني عن أماراتِها. قال: أنْ تلدَ الأمةُ ربَّتها وأنْ ترَى الحفاةَ العراةَ العالةَ رعاءَ الشَّاءِ يتطاولونَ في البناءِ، قال: ثمَّ انطلقَ الرجلُ، قال عمرُ: فلبثتُ ثلاثًا ثمَّ قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم: يا عمرُ أتدري من السائلُ؟ قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال: فإنه جبريلُ عليه السلامُ أتاكم يعلِّمَكم دينَكم"

والحالة الثانية: أن يأتيه مثل صلصلة الجرس، والصوت القوي يثير عوامل الانتباه فتُهَيَّأ النفس بكل قواها لقبول أثره، وهي أشد على الرسول صلى الله عليه وسلم، فإذا نزل الوحي بهذه الصورة على الرسول ﷺ نزل عليه وهو مستجمع القوى الإدراكية لتلقيه وحفظه وفهمه، وقد يكون هذا الصوت حفيف أجنحة الملائكة المشار إليه في حديث أبي هريرة: «إذا قضى اللَّهُ الأمرَ في السَّماءِ ضربَتِ الملائِكَةُ بأجنحتِها خُضعانًا لقَولِهِ، كأنَّهُ سِلسِلةٌ علَى صَفوانٍ». (رواه البخاري)، وقد يكون صوت المَلَكِ نفسه في أول سماع الرسول له.

وكذلك، يهبط على الرسول خفية فلا يرى، ولكن يظهر أثر التغير والانفعال على النبي ﷺ، فيتصبب من جبينه العرق في اليوم الشديد البرد: وقد يكون وْقعُ الوحي على

الرسول كوقع الجرس إذا صلصل في أذن سامعه. قال صلى الله عليه وسلم: "أحيانا يأتيني مثل صلصَلة الجرس –وهو أشد علي– فَيُفْصَمَ عني وقد وَعَيتُ عنه ما قال" (متفق عليه).

سأل الحارث بن هشام رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحيُ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أحيانًا يأتيه الملك –وهو جبريل– بالوحي فيكون صوت الملك بالوحي مشابهًا لصوت الجرس في قوته، وهو أشد شيء وأصعبه عليه صلى الله عليه وسلم، وتغشاه شدة وكرب شديد ثم ينكشف عنه، وقد فهم وحفظ عن الملك ما قال، وإنما يأتيه الوحي بهذا الصوت الشديد؛ ليشغله عن أمور الدنيا، ويفرغ حواسه للصوت الشديد، فكان صلى الله عليه وسلم يفهم عنه؛ لأنه لم يبق في سمعه مكان لغير صوت الملك ولا في قلبه. وأخبره صلى الله عليه وسلم أنه أحيانًا أخرى يأتيه جبريل في صورة رجل مثل دحية أو غيره، فيكلمه بالوحي فيفهم ما يقوله له ويحفظه. وأخبرت عائشة رضي الله عنها أنها كانت ترى النبي صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحي عليه في اليوم الشديد البرد فتنكشف عنه شدة الوحي وجبينه يسيل عرقًا من شدة ما يلقاه من الكرب والمعاناة.

إمكانية وقوع الوحي:

من المعلوم أن العَالَم ينقسم إلى قسمين:

١– عَالَم الغيب أو ما وراء المادة.

٢- عَالَم الشهادة.

وقد ضاقت عقول فئة من الناس فلم تؤمن إلا بعالم الشهادة وأنكرت عالم الغيب، وهذا بلا شك قصور في الإدراك وفي وسائله. ولو تأمل هؤلاء لأدركوا أن فيما أنكروا ما لا يخفى على ذي عقل، وأن في عالم الغيب ما هو أقوى ثبوتًا من بعض ما في عالم الشهادة.

والوحي من عالم الغيب الذي يجب الإيمان به، ومن صفات المؤمنين أنهم يؤمنون بالغيب، ولمن طلب الأدلة العلمية -للطمأنينة القلبية- على إمكانية وقوع الوحي نذكر منها:

١. **الحالة الإنسانية نفسها:** فالإنسان نفسه أول ما يولد لا يملك من أمر نفسه شيئًا، فلا يملك التحكم في تحريك يده، ولا رأسه، ولا رجله، ولا تحريك بصره يمنة أو يسرة، حتى برازه يخرج بغير إرادته، فلا حول له ولا قدرة ولا سلطان إلا **القدرة على تحريك شفتيه للرضاعة!** لأن هناك من كفاه الحاجة إلى كل حركة وهي أمه التي تقوم بكل حاجته، إلا تلك الحركة فلا يمكن أن تقوم بها ولا يمكن أن يستغنى عنها، فمن الذي ألهمه هذه الحركة، ومن الذي علمه!! لا ريب أن قيوم السماوات والأرض هو الذي ألهمه وعلمه، فلا عجب إذًا أن يلهم بعض البشر ما تقوم به حياة البشر عامة وصلاح أمرهم.

٢. **أن بعض الحشرات كالنحل والنمل وغيرهما تأتي بعجائب الأنظمة ودقائق الأمور** مما يطول شرحه وبسطه ويدرك المتأمل أنه من المستحيل أن يكون ذلك صادرًا عن تفكير لها أو مُنْبَثِق عن غريزتها المُجَرَّدة، بل يوقن أنها لم تصدر في ذلك إلا عن إلهام رباني ووحي إلهي.

فإذا اقتضت رحمة الله الإلهام إلى تلك الحيوانات والحشرات بما تقوم به حياتها هل يُسْتبعد أحد أن يلهم الله أحدًا من البشر ما تقوم به حياتهم وسعادتهم وهم أعز وأكرم. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾. (الإسراء:٧٠)

٣. **وفي المخترعات الحديثة والمكتشفات العلمية ما يقرب إلى الأذهان إمكانية الاتصال؛** فإذا كان الهاتف مثلًا يمكن للإنسان بواسطته أن يخاطب من في أقصى الأرض، وأن يسمع حديثه لا يخفى عليه منه شيء ولا يسمع الحاضرون إلا دويًّا كدوي النحل! فضلًا عن الإذاعة التي تنقل الأصوات إلى ما هو أعم وأوسع، والتلفاز الذي ينقل الصوت والصورة، إذا كان هذا بعض شأن البشر وقدرتهم التي أعطاهم الله، فهل يجرؤ أحد على إنكار إمكانية اتصال الله بأحد أنبيائه وإسماعه كلامه بواسطة أو بغير واسطة، لا ينكر هذا إلا مكابر معاند.

الأسبوع الثالث

الموضوع الأول: حجية القرآن

القرآن الكريم: حجيته وإعجازه

القرآن معجز بلفظه ومعناه؛ أي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، فيعجز الخلق عن الإتيان بمثل القرآن في اللفظ والمعنى مقترنان، لأنه من عند الله سبحانه، فألفاظه إلهية، ومعانيه وعلومه إلهية، وكل منها يدل على المصدر الذي جاء منه هذا القرآن. وهو بذلك أكبر دليل وشهادة بين أيدينا[٨]. قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾[٩]، فهو رسالة ومعجزة لمن نزل عليهم، ولمن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة.

تعريف القرآن لغة وشرعا

لغةً: يرى بعض علماء اللغة أن كلمة (القرآن) هي مصدر على وزن (فُعْلَان) كالغُفران والرُجحان والشُكران، فهو مهموز اللام من قرأ يقرأ قراءة وقرآنا، بمعنى تلا يتلو تلاوة، ثم نقل في عرف الشرع من هذا المعنى وجُعِل عَلَما على مقروء معين.

وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ١٦ إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ١٧ فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٦ – ١٨].

وقد روى الشيخان رضي الله عنهما في سبب نزولها ما يفيد هذا المعنى، عن ابن عباس أنه قال: «كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يعالج من التنزيل شدّة، فكان

---

[٨] عبد المجيد بن عزيز الزنداني، **بينات الرسول ﷺ ومعجزاته**، (القاهرة: دار الإيمان، د.ط.د.ت.)، ص٦٩.

[٩] الأنعام: ١٩

يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه، يريد أن يحفظه فأنزل الله تعالى: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ...﴾

اصطلاحا: كلام الله تعالى المعجز المنزّل على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلم بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس.

حجية القرآن:

القرآن الكريم حجة على الناس جميعًا؛ لأنه: **كتاب الله العزيز الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.**

مفهوم الحجية

الحجية لغةً: الدليل والبرهان

واصطلاحاً: ما دُلَّ به على صحة الدعوى.

حجية القرآن من القرآن الكريم:

١. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]

٢. ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

٣. ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١] يتلونه حق تلاوته؛ أي يتبعونه حقَّ اتباعه، وتظهر حجية القرآن في أن من كفر به، فقد خسر دنياه وآخرته.

حجية القرآن من السنة النبوية:

١. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الماهِرُ بالقرآنِ مع السفرَةِ الكرامِ البرَرَةِ، والذي يقرؤُهُ ويتَعْتَعُ فيهِ، وهو عليه شاقٌّ لَهُ أجرانِ". (رواه البخاري)

كان صلى الله عليه وسلم يحمل الناس على القرآن حملًا، ويفاضل بينهم بمنزلتهم من القرآن، ويوصي من عجز عن القراءة أن يستمع ويتفهم؛ حتى لا يُحرم بركة الصلة الروحية بكتاب الله تعالى.

٢. أخرج الإمامان البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقرأ عليَّ القرآن" قال فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: " إني أشتهي أن أسمعه من غيري" فقرأت النساء حتى إذا بلغت: "فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً" رفعت رأسي أو غمزني رجل إلى جنبي فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل".

٣. قال صلى الله عليه وسلم: "والقرآن **حجة** لك أو عليك" (رواه مسلم)

من أقوال أهل العلم في حجية القرآن الكريم:

فقد أجمع المسلمون على اختلاف نزعاتهم ومذاهبهم وآرائهم على أن القرآن الكريم حجة على جميع الناس، وهو مصدر الشريعة الأول، وما عداه من المصادر، فإنما يستند إليه ويرجع في حجيته إليه.

١. يقول الغزالي: "واعلم أنا حقَّقنا النظر بأن أصل الأحكام واحد، وهو قول الله تعالى، إذ قول الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بحكم ولا ملزم، وإنما هو مخبر عن الله أنه حكم كذا وكذا"

٢. ويقول ابن حزم: "ولَما تبيَّن بالبراهين والمعجزات أن القرآن هو عهد الله إلينا، والذي ألزمنا الإقرار به والعمل بما فيه، وصح بنقل الكافة الذي لا مجال للشك فيه أن هذا القرآن هو المكتوب في المصاحف..."

الموضوع الثاني: إعجاز القرآن

إعجاز القرآن: معناهُ ووجوهُ إعجازِهِ بإيجازٍ

لا شك، أنَّ القرآنَ تَحدَّى فُصَحاءَ العربِ بمعارضتِهِ، وطاولَهم في المعارضةِ، ولكنَّهم انْهزمُوا أمامَ تحدِّيهِ، وأعلنُوا عجزَهم عن تقليدِه؛ لأنه يَعلُو ولا يُعلَى عليه، وما هو بقولِ بشرٍ[١٠].

معنى الإعجاز لغة واصطلاحا

لغة: إثباتُ العجزِ، والعجزُ هو: القصورُ عن فعلِ الشيءِ، وهو ضدُ القدرةِ، وإذا ثَبتَ الإعجازُ، ظهرت قدرةُ المُعجزِ، وتَفَرُّدُ المعجزةِ.

اصطلاحا: إثباتُ القرآنِ عَجْزَ الخلقِ عن الإتيانِ بما تحداهم به، أي نسبةُ العجزِ إلى الناسِ بسببِ عدمِ قدرتِهم على الإتيانِ بمثلِه أو بسورةٍ منهُ.

إنَّ المقصودَ من الإعجازِ في القرآنِ أمرانِ:

الأول: إثباتُ أنَّ هذا القرآنَ حَقٌّ مُنَزَّلٌ من عندِ اللهِ تعالى.

الثاني: إثباتُ صدقِ نبوةِ سيدِنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وأنَّه رسولُ اللهِ الذي أيَّدَه بهذه المُعْجِزة الخالدةِ.

---

[١٠] انظر: صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، (د.م: دار العلم للملايين، ط٤، ٢٠٠٠م)، ص٣٤.

وجوه الإعجاز القرآني

يحلو لبعض العلماء أن يرى وجوها كثيرة في إعجاز القرآن، فبعضهم يرى من وجوه الإعجاز إخبار القرآن بالغيب، أو في نظامه التشريعي، أو العلمي، أو البياني، وسوف يتناول هذا المبحث الإعجاز العلمي فقط.

الإعجاز العلمي

تعريف الإعجاز العلمي: هو إخبار القرآن الكريم عن حقائق أكدها العلم الحديث، مع عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي القرآن الكريم ما يزيد على ألف آية تتحدث عن معالم هذا الكون، وتذكر مفرداته من السماوات والأرض والشمس والقمر والكواكب والنجوم والبحار والأنهار والأمطار والبرق والرعد إلى آخره.

والإعجاز العلمي من أساليب الإقناع التي تتناسب مع طبيعة العصر، وذلك من خلال إيراد القرآن للأدلة والبراهين العلمية عن خلق الإنسان، وخصائص الكون وحقائق العلوم في آياته.

ضوابط في الإعجاز العلمي

ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن هي:

١ – التسليم بأن القرآن كتاب هداية.

٢ – الالتزام بالحقائق العلمية.

٣ – اليقين باستحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية.

٤ – الالتزام بدلالات وقواعد اللغة العربية.

٥- معرفة ومراعاة مرونة الأسلوب القرآني.

مثال على الإعجاز العلمي: الحواجز المائية بين البحار

قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن:١٩-٢٢)

وبعد العام ١٩٦٢م عُرِف دور الحواجز البحرية في تهذيب خصائص الكتل المائية العابرة من بحر إلى بحر لمنع طغيان أحد البحرين على الآخر وليحافظ كل بحر على خصائصه وحدوده. وأخيراً تمكن الإنسان من تصوير هذه الحواجز المتحركة المتعرجة بين البحار المالحة عن طريق تقنية خاصة بالتصوير الحراري بواسطة الأقمار الصناعية وقد بينت الصور أن مياه البحار وإن بدت جسماً واحداً إلا أن هناك فروقاً كبيرة بين الكتل المائية للبحار المختلقة إذ تظهر صور البحار بألوان مختلفة تبعاً لاختلافها في درجة الحرارة.

الأسبوع الرابع: نزول القرآن وجمعه

الموضوع الأول: نزول القرآن

أنزل الله القرآن على رسولنا محمد ﷺ لهداية البشرية، فكان نزوله حدثًا جللًا يؤذن بمكانته لدى أهل السماء وأهل الأرض، فإنزاله الأول في ليلة القدر أشعر العالم العُلوي من ملائكة الله بشرف الأمة المحمدية التي أكرمها الله بهذه الرسالة الجديدة لتكون خير أمة أخرجت للناس، وتنزيله الثاني مفرَّقًا.

مراحل نزول القرآن

نزل القرآن الكريم على مرحلتين:

المرحلة الأولى: نزول القرآن جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا

وذلك بدليل قوله تعالى :﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، وقوله تعالى:﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وقوله تعالى :﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فدلَّت هذه الآيات على أن القرآن أنزل جملة واحدة في ليلة القدر.

روى النسائي عن عكرمة، عن ابن عباسٍ، قال: أُنزل القرآن جملةً إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنةً، قال :﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٣]، وقرأ :﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦].[١١]

[١١] السنن الكبرى للنسائي جـ ٦ صـ ٤٢١ حديث ١١٣٧٢.

المرحلة الثانية: نزول القرآن منجَّمًا – أي مفرَّقًا – بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، على قلب النبي صلى الله عليه وسلم على مدار ثلاث وعشرين سنة[١٢].

قال الله تعالى :﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (الإسراء: ١٠٦).

جبريل يعرض القرآن كاملًا على النبي صلى الله عليه وسلم:

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها، قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مِشيتها مَشْيُ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "مرحبًا بابنتي"، ثم أجلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثم أسَرَّ إليها حديثًا، فبكت، فقلت لها: لمَ تبكين؟ ثم أسَرَّ إليها حديثًا فضحكت، فقلت: ما رأيتُ كاليوم فرحًا أقرب من حزنٍ، فسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشيَ سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم، فسألتها؟ فقالت: أسَرَّ إلي: "إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنةٍ مرةً، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنكِ أول أهل بيتي لحاقًا بي"، فبكيت، فقال: "أما ترضَين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين"، فضحكتُ لذلك.[١٣]

قال الإمام ابن كثير (رحمه الله): المراد من معارضته له بالقرآن كل سنةٍ: مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى؛ ليُبقي ما بقي، ويُذهب ما نُسخ توكيدًا، أو استثباتًا وحفظًا؛ ولهذا عرضه في السنة الأخيرة من عمره عليه السلام على جبريل مرتين، وعارضه به جبريل كذلك؛ ولهذا فهم عليه السلام اقتراب أجَله.[١٤]

---

[١٢] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ ١ صـ ١١٦: صـ ١١٩.

[١٣] رواه البخاري حديث: ٣٦٢٣.

[١٤] تفسير ابن كثير جـ ١ صـ ٧٠.

حكمة نزول القرآن مفرَّقًا

كانت الكتب السماوية السابقة تنزل على الرسل جملةً واحدةً، كما ذهب إلى ذلك جمهور العلماء، وقد اعتَرَض المشركون على نزول القرآن مفرَّقًا، فبيَّن الله تعالى ذلك الاعتراض في القرآن، فقال سبحانه :﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (الفرقان: ٣٢.)

كان لنزول القرآن الكريم مفرَّقًا على قلب النبي صلى الله عليه وسلم حِكمٌ كثيرةٌ، يمكن أن نوجزها فيما يلي:

الحكمة الأولى: تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم

فكان الوحيُ يتنزَّل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة بعد فترة، بما يُثَبِّت قلبه على الحق. ويبين الله له سنته في الأنبياء السابقين الذين كُذِّبوا وأُوذوا فصبروا حتى جاءهم نصر الله، وأن قومه لم يكذِّبوه إلا علوًّا واستكبارًا، فيجد صلى الله عليه وسلم في ذلك السنة الإلهية في موكب النبوة عبر التاريخ، التي يتأسى بها **تسلية له** إزاء أذى قومه، وتكذيبهم له، وإعراضهم عنه :﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ *وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ (الأنعام: ٣٣، ٣٤[)، ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (آل عمران: ١٨٤)

ويأمره القرآن بالصبر كما صبر الرسلُ مِن قبله :﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف: ٣٥)

ويُطمئن نفسه بما تكفل الله به من كفايته أمرَ المكذبين: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا *وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾ (المزمل: ١٠، ١١)

وكلما اشتد ألَمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه، وداخَله الحزن لأذاهم، **نزل القرآن دعمًا وتسلية له**، يهدد المكذبين بأن الله يعلم أحوالهم، وسيجازيهم على ما كان منهم :﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (يس: ٧٦)، ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (يونس: ٦٥).

الحكمة الثانية: تيسير حفظ القرآن وفهمه لأمة لا تعرف القراءة ولا الكتابة

لقد نزل القرآن الكريم على أمة أمية لا تعرف القراءة والكتابة، سِجلُّها ذاكرة حافظة، ليس لها دراية بالكتابة والتدوين حتى تكتب وتدون، ثم تحفظ وتفهم: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾]الجمعة: ٢[، ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فما كان للأمة الأمية أن تحفظ القرآن كله بيُسر لو نزل جملة واحدة، وأن تفهم معانيَه وتتدبر آياته، فكان نزوله مفرَّقًا خيرَ عونٍ لها على حفظه في صدورها، وفهم آياته، كلما نزلت الآية أو الآيات حفظها الصحابة، وتدبروا معانيها، ووقفوا عند أحكامها، واستمر هذا منهجًا للتعليم في حياة التابعين.

روى البيهقيُّ عن عمر رضي الله عنه قال: تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات؛ فإن جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي صلى الله عليه وسلم خمسًا خمسًا[١٥].

الحكمة الثالثة: الدلالة القاطعة على أن القرآن تنزيل من الله تعالى.

القرآن، الذي نزل تباعًا على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم على مدى أكثر من عشرين عامًا، يتميز بتنزيل الآيات على فترات مختلفة. وعندما يقرأ الإنسان القرآن

[١٥] **الدر المنثور** للسيوطي، ج٥، ص٣٤٦.

ويتلو سوره، يجده متماسكًا ومنسجمًا، مع معانٍ دقيقة وأسلوب رصين، كما لو كان مثالًا فريدًا من النصوص المتناسقة التي لا يمكن مقارنتها بأي شيء آخر في كلام البشر. قال سبحانه :﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] ولو كان هذا القرآن من كلام البشر قيل في مناسبات متعددة، ووقائعَ متتالية، وأحداث متعاقبة – لوقع فيه التفكُّك والانفصام، واستعصى أن يكون بينه التوافقُ والانسجام؛ قال تعالى :﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

الحكمة الرابعة: مسايرةُ الحوادث، والتدرُّجُ في التشريع.

القرآن الكريم عالج الناس بحكمته، مسايرًا حوادثهم واحتياجاتهم الدينية. وبدأ القرآن بتناول أصول الإيمان واستئصال العقائد الوثنية ليغرس عقيدة الإسلام. وأمر بالأخلاق الحميدة ونهى عن الفحشاء لاقتلاع جذور الفساد. وفي الوقت نفسه، وضَّح قواعد الحلال والحرام لترسيخ دينه في جميع جوانب الحياة كما أن التشريع تدرَّج في علاج الأمراض الاجتماعية بتشريعات تتفق مع مقتضيات الزمان. فنزول القرآن وفق الحوادث يعكس دعمه للمسلمين في جهادهم لإعلاء كلمة الله.

الاستفادة من نزول القرآن مفرَّقًا في التربية والتعليم:

تعتمد العملية التعليمية على أمرينِ أساسيين:

١. مراعاة المستوى الذهني للطلاب.
٢. تنمية قدرات الطلاب العقلية والنفسية والجسمية بما يوجهها وجهة سديدة إلى الخير والرشاد.

فإن نزول القرآن الكريم تدرَّج في تربية الأمة الإسلامية تدرُّجًا فِطريًّا لإصلاح النفس البشرية، واستقامة سلوكها، وبناء شخصيتها، وتكامل كيانها، حتى استوت على سوقها، وآتت أكلها الطيب بإذن ربها لخير الإنسانية كافة.

وكان تنجيمُ القرآن خيرَ عونٍ لها على حفظه، وفهمه، ومدارسته، وتدبر معانيه، والعمل بما فيه.

الموضوع الثاني: جمع القرآن الكريم

معنى جمع القرآن

يُطلق جمع القرآن ويُراد به عند العلماء أحد معنيين[١٦]:

المعنى الأولى: جمعه **بمعنى حفظه**، وجماع القرآن: حفاظه، وهذا المعنى هو الذي ورد في قوله تعالى في خطابه لنبيه –صلى الله عليه وسلم– وقد كان يحرِّك شفتيه ولسانه بالقرآن إذا نزل عليه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي حرصًا على أن يحفظه: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ.

المعنى الثاني: جمع القرآن بمعنى **كتابته كله**، مفرَّق الآيات والسور، أو مرتب الآيات فقط، وكل سورة، في صحيفة على حدة، أو مرتب الآيات والسور في صحائف مجتمعة تضم السور جميعًا وقد رُتِّبت إحداها بعد الأخرى.

مراحل جمع القرآن:

هناك ثلاثة مراحل لجمع القرآن، هي:

١. الجمع في عهد النبي صلّى الله عليه وسلّم
٢. الجمع في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٣. الجمع في عهد عثمان رضي الله عنه

---

[١٦] مناع بن خليل القطان، **مباحث في علوم القرآن**، (د.م.: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م)، ص١٧٠.

أولاً: الجمع في عهد النبي صلّى الله عليه وسلّم

لقد جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم حفظًا وكتابة. وكان حفظه في الصدور يتجلى في حفظ النبي صلى الله عليه وسلم لهذا القرآن. كانت طريقة جمعه في العهد النبوي الشريف عبارة عن كتابة الآيات وترتيبها ووضعها في مكانها الخاص من سورها. فقد كانوا يكتبون القرآن على العسيب، واللحاف، والرقاع، وعظام الأكتاف، وغيرها. وذلك لأن صنع الورق لم يكن مشتهرا عند العرب في ذلك الوقت. بل كان عند الفرس والروم. ويصعب الحصول عليه في ذلك الحين.

ثانياً: جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه

لم يشعر الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاة النبي صلّى الله عليه وسلّم أنهم في حاجة إلى جمع القرآن في كتاب واحد، حتى كثر القتل في الحفّاظ في حروب الردة، فقد استشهد فيها خلق كثير من القرّاء والحفظة، قيل: إنه قتل سبعون وقيل: خمسمائة، وأيا كان فإن عدد القتلى قد هال المسلمين، فخشي عمر بن الخطاب من ذلك على ضياع بعض الصحف ففكر في عرض الأمر على أبي بكر ليقوم بجمع القرآن.

رفض أبو بكر هذا الاقتراح بداعي عدم فعل النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– مثل ذلك. بعد مراجعة عمر المستمرة، وافق أبو بكر على جمع القرآن، وأرسل زيد بن ثابت لتنفيذ المهمة. وبدأ زيد بن ثابت في جمع القرآن بمساعدة القرَّاء والكتبة، وتم الاحتفاظ بالصحف التي جمعها بعد وفاته.

ثالثا: جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه

اتسعت الفتوحات الإسلامية وانتشرت القراءات المختلفة للقرآن في الأمصار. تشكلت تباينات في القراءات بسبب الاختلاف في الأحرف التي نزل عليها القرآن. بعد غزوة "أرمينية" و"أذربيجان"، أبلغ "حذيفة بن اليمان" عثمان بتباينات وجوه القراءة التي لاحظه، وبسبب خشية التحريف والتبديل، قرر الصحابة نسخ الصحف الأولى التي جمعها أبو بكر وتوحيدها على قراءة واحدة. وأرسل عثمان إلى حفصة للحصول على تلك الصحف ومن ثم إلى زيد بن ثابت وغيره لنسخها وتوزيعها.

الأسبوع الخامس

الموضوع الأول: حجية الحديث

للحديث النبوي مكانة عظيمة في التشريع الإسلامي، فهو المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، والتطبيق العملي لما جاء فيه، وهو الكاشف لغوامضه، الشارح لألفاظه ومبانيه، وإذا كان القرآن قد وضع القواعد والأسس العامة للتشريع والأحكام، فإن الحديث قد عني بتفصيل هذه القواعد، وبيان تلك الأسس، وتفريع الجزئيات على الكليات، ولذا فإنه لا يمكن للدين أن يكتمل ولا للشريعة أن تتم إلا بأخذ الحديث جنباً إلى جنب مع القرآن.

وقد جاءت الآيات المتكاثرة والأحاديث المتواترة آمرة بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، والاحتجاج بسنته والعمل بها، إضافة إلى ما ورد من إجماع الأمة وأقوال الأئمة في إثبات حجيتها ووجوب الأخذ بها.

١. مفهوم حجية الحديث:

الحجية في اللغة هي **الدليل والبرهان**[١٧]، واصطلاحا هي: **ما دُلَّ به على صحة الدعوى**[١٨] ولذلك الحجية هي القوة الملزمة لدليل ما في الإثبات.

والحديث هو: **ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير، أو وصف خَلْقي أو خُلُقي.**

---

[١٧] المعجم الوسيط مادة (حجج)

[١٨] التعريفات للجرجاني ص36.

وحجية الحديث معناها: أن الحديث مصدر أصيل من مصادر التشريع الإسلامي، بحيث يصح الاعتماد عليها والاستناد إليها في استنباط الأحكام وثبوت التكليف بها، والحديث بهذا المعنى حجة واجبة الاتباع كما دل على ذلك القرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع الأمة.[١٩]

٢. حجية الحديث من القرآن:

الآيات التي تصرح بوجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه، والتحذير من مخالفته وتبديل سنته، وأن طاعته طاعة لله، كقوله سبحانه: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ". (محمد: ٣٣)، وقوله تعالى: "مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا:. (النساء: ٨٠)، وقوله تعالى: "وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ". (الحشر: ٧).

وهناك آيات رتبت الإيمان على طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه، والتسليم لأمره ونهيه كقوله تعالى: "وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا". (الأحزاب: ٣٦)، وقوله سبحانه: "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا". (النساء: ٦٥)، وقوله تعالى: "إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ". (النور: ٥١).

[١٩] https://alssunnah.com

وهناك الآيات الدالة على أن الرسول صلى الله عليه وسلم مبين للكتاب وشارح له، وأنه يعلم أمته الحكمة كما يعلمهم الكتاب، ومنها قوله تعالى: "وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ". (النحل: ٤٤)، وقوله تعالى: "وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ". (النحل: ٦٤)، وقوله تعالى: "لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ. (آل عمران: ١٦٤)

٣. حجية الحديث من الأحاديث نفسها:

هناك أحاديث يبين فيها صلى الله عليه وسلم بأنه قد أوحي إليه القرآن وغيره، وأن ما بيَّنه وشرَّعه من الأحكام فإنما هو بتشريع الله تعالى له، وأن العمل بالسنة عمل بالقرآن، وأن طاعته طاعة لله، ومعصيته معصية لله جل وعلا، كقوله صلى الله عليه وسلم: "يوشِكُ أنْ يقعُدَ الرجلُ مُتَّكِئًا على أَرِيكَتِهِ، يُحَدَّثُ بحديثٍ مِنْ حديثي، فيقولُ: بينَنَا وبينَكُمْ كتابُ اللهِ، فما وجدْنا فيه مِنْ حلالٍ اسْتَحْلَلْناهُ، وما وجدَنا فيه مِنْ حرامٍ حرَّمْناهُ، ألَا وإنَّ ما حرَّمَ رسولُ اللهِ مثلَ ما حرَّمَ اللهُ (رواه ابن ماجه وأحمد)

وحديث: "ألا إني أُوتيتُ القرآنَ ومثلَه معه، ألا يُوشِكُ رجلٌ شبعانٌ على أريكتِه يقول: عليكم بهذا القرآنِ، فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحِلُّوه، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرِّموهُ". (رواه أبو داود والترمذي وأحمد)

وهنا الأحاديث التي يأمر فيها عليه الصلاة والسلام بالتمسك بسنته وأخذ الشعائر والمناسك عنه، والاستماع إلى حديثه وحفظه وتبليغه إلى من لم يسمعه، وينهى عن الكذب عليه، ويتوعد من فعل ذلك بأشد الوعيد، كقوله صلى الله عليه وسلم: "تركتُ

فيكم شيئَينِ، لن تضِلوا بعدهما: كتابَ اللهِ، وسُنَّتي، ولن يتفرَّقا حتى يَرِدا عليَّ الحوضَ (رواه البيهقي). وحديث: "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ"، (رواه أبو داود). وحديث: "صلوا كما رأيتموني أصلي". (رواه البخاري)، وحديث: "خذوا عني مناسككم". (رواه النسائي)

٤. حجية الحديث بالإجماع:

أجمعت أمة الإسلام قاطبة؛ من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين والأئمة المجتهدين، وسائر علماء المسلمين على حجية الحديث ووجوبِ العمل به، والتحاكم إليه، والسَّير على هديه في كل جوانب حياة المسلمين.

وكان سلفنا الصالح يتمسكون بالحديث ويهتدون به، ويحثون على العمل به، ويُحذِّرون من مخالفته، ويعتبرونه مكمِّلا للقرآن العظيم وشارحا له، وإن تعذَّر العثور على الدليل في القرآن الكريم، أخذوه من الحديث ولا يتجاوزونه إلى غيره إنْ كان الدليل فيه، بل كان الواحد من الأئمة الكرام يرجع عن اجتهاده – دون أدنى تردُّد – إنْ تبيَّن له حديثٌ ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم يُعارض ما ذهب إليه من اجتهاد، وعبارتهم المشهورة في ذلك: (إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي عُرض الحائط).[٢٠]

وممن نقل الإجماعَ على حجية السنة:

١ – الإمام الشافعي – رحمه الله، إذْ يقول: (أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ: على أَنَّ من اسْتَبَانَتْ له سُنَّةُ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لم يَكُنْ له أَنْ يَدَعَهَا لِقَوْلِ أَحَدٍ من الناس).[٢١]

---

[٢٠] المجموع، للنووي (١ /١٣٦)

[٢١] إعلام الموقعين، (١ /٧)

وقال أيضاً: (لم أَسْمَعْ أَحَدًا – نَسَبَهُ الناسُ أو نَسَبَ نَفْسَهُ إلَى عِلْمٍ – يُخَالِفُ في أَنْ فَرَضَ اللَّهُ عز وجل اتِّبَاعَ أَمْرِ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَالتَّسْلِيم لِحُكْمِهِ، بِأَنَّ اللَّهَ عز وجل لم يَجْعَلْ لأَحَدٍ بَعْدَهُ إلاَّ اتِّبَاعَهُ، وَأَنَّهُ لاَ يَلْزَمُ قَوْلٌ بِكُلِّ حَالٍ إلاَّ بِكِتَابِ اللَّهِ أو سُنَّةِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم، وَأَنَّ ما سِوَاهُمَا تَبَعٌ لَهُمَا، وَأَنْ فَرَضَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْنَا وَعَلَى مَنْ بَعْدنَا وَقَبْلنَا في قَبُولِ الْخَبَرِ عن رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَاحِدٌ، لاَ يَخْتَلِفُ في أَنَّ الْفَرْضَ وَالْوَاجِبَ قَبُولُ الْخَبَرِ عن رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم).[٢٢]

٢ – الشوكاني – رحمه الله، حيث قال: (والحاصل: إنَّ ثبوت حُجيَّة السُّنة المُطهَّرة، واستقلالَها بتشريع الأحكام ضرورةٌ دينية، ولا يُخالف في ذلك إلاَّ مَنْ لا حظَّ له في دين الإسلام)[٢٣]

٣ – ابن تيمية – رحمه الله، إذْ يقول: (وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عامًّا يتعمَّد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من سُنَّتِه دقيق ولا جليل، فإنَّهم مُتَّفقون اتِّفاقًا يقينيًّا: على وجوب اتِّباع الرسول، وعلى أنَّ كلَّ أحدٍ من الناس يؤخذ من قوله ويُترك إلاَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم)[٢٤]

---

[٢٢] الأم، (٧ /٢٧٣).

[٢٣] إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، (ص٦٩).

[٢٤] مجموع الفتاوى، (٢٠ /٢٣٢).

الموضوع الثاني: أقسام الحديث

الحديث النبوي والحديث القدسي

قسّم علماء الحديث الأحاديث النبوية الشريفة تقسيمات متعددة، وكل تقسيم ينظر إلى الأحاديث من زاوية معينة كتقسيمه من جهة صحته، أو عدد رواته، أو من جهة قائله، والحديث القدسي هو من الأحاديث التي تقسم باعتبار قائلُها أو مَن أُسنِدَ إليها، ولذلك يرى بعض العلماء أن الحديث عموماً ينقسم إلى قسمين: الحديث النبوي والحديث القدسي.

١. تعريف الحديث النبوي:[٢٥]

الحديث لغة: الجديد، ويجمع على أحاديث، على خلاف القياس.

واصطلاحا: **هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم: من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خَلْقي أو خُلُقي.**

والحديث النبوي هو يشمل أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله، وما أقرَّه ولم ينكره من قول أو فعل رآه أو بلغه، وما روي لنا من صفاته الخَلقية والخُلقية.

٢. تعريف الحديث القدسي:[٢٦]

الحديث القدسي لغةً: القدسيّ نسبة إلى القُدس أي الطُهر، فالتقديس كما عرّفه ابن منظور يعني: التنزيه والتطهير والتبريك، فيُقال: تقدّس؛ أي: تطهّر، وسُميّ الحديث القدسيّ بهذا الاسم تنزيهاً وتقديساً له.

---

[٢٥] الطحلن، تيسير مصطلح الحديث، ص ١٧.

[٢٦] الملا علي القاري، الأحاديث القدسية الأربعينية ت عبد العزيز مختار، صفحة ٢١-٢٣. بتصرّف.

والحديث القدسي اصطلاحاً: **هو الحديث الذي يرويه النبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– ويسنده إلى ربّه عزّ وجلّ**، ويسمّى الحديث القدسيّ أيضاً بالحديث الإلهي نسبةً إلى الذات الإلهية أو الحديث الربانيّ نسبةً إلى الربّ عزّ وجلّ.

ومناسبة تسميته قدسيا هي التكريم لهذه الأحاديث من حيث إضافتها إلى الله عز وجل، كما أنها واردة في تقديس الذات الإلهية، وقلما تتعرض لأحكام الحلال والحرام.

٣. صيغ الحديث القدسي:[٢٧]

وردت عدّة صيغٍ للحديث القدسيّ، من أبرزها:

قال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– فيما يرويه عن ربّه عزّ وجل.

قال الله –عزّ وجلّ– فيما يرويه عنه الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

قال الرسول –صلّى الله عليه وسلّم– فيما يحكيه عن ربّه عزّ وجلّ.

٤. أنواع الحديث القدسي:[٢٨]

يتفرّع الحديث القدسيّ إلى نوعَين بالنظر إلى لفظه ومعناه:

النوع الأول: ما كان لفظه ومعناه من الله –تعالى– ولم يتصرّف فيه الرسول –عليه الصلاة والسلام– بشيءٍ فبلّغه فقط.

النوع الثاني: ما نُسب إلى الله –عزّ وجلّ– المتكلّم به أولاً وبلّغه رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– بلفظٍ منه.

---

[٢٧] مجموعة من المؤلفين، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، صفحة ٢١٨. بتصرّف

[٢٨] نفس المرجع

٥. من أمثلة الأحاديث القدسية:

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–: "يقولُ اللَّهُ: إذا أرادَ عَبْدِي أنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فلا تَكْتُبُوها عليه حتَّى يَعْمَلَها، فإنْ عَمِلَها فاكْتُبُوها بمِثْلِها، وإنْ تَرَكَها مِن أجْلِي فاكْتُبُوها له حَسَنَةً، وإذا أرادَ أنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْها فاكْتُبُوها له حَسَنَةً، فإنْ عَمِلَها فاكْتُبُوها له بعَشْرِ أمْثالِها إلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ".[٢٩]

ورد عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– عن النبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–: "قالَ اللَّهُ تبارَكَ وتعالى يا ابنَ آدمَ إنَّكَ ما دعوتَني ورجوتَني غفَرتُ لَكَ على ما كانَ فيكَ ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ لو بلغت ذنوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثمَّ استغفرتَني غفرتُ لَكَ، ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ إنَّكَ لو أتيتَني بقرابِ الأرضِ خطايا ثمَّ لقيتَني لا تشرِكُ بي شيئًا لأتيتُكَ بقرابِها مغفرةً".[٣٠]

٦. الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي:[٣١]

الحديث القدسي	الحديث النبوي
ينسبه النبي صلى الله عليه على آله وسلم إلى ربه تبارك وتعالى.	فلا ينسبه إلى ربه سبحانه.
أغلبه يتعلق بموضوعات الخوف والرجاء، وكلام الرب جل وعلا مع مخلوقاته، وقليل منه يتعرض للأحكام التكليفية.	فيتطرق إلى هذه الموضوعات بالإضافة إلى الأحكام.

[٢٩] صحيح البخاري

[٣٠] جامع الترمذي

[٣١] http://saaid.org/Doat/assuhaim/80.htm

قليل بالنسبة لمجموع الأحاديث.	فهو كثير جداً.
أكثرها قولية.	قولية وفعلية وتقريرية.

٧. الفرق بين القرآن والحديث القدسي[٣٢]

القرآن	الحديث القدسي
نزل به جبريل عليه الصلاة والسلام على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام	لا يُشترط فيه أن يكون الواسطة فيه جبريل، فقد يكون جبريل هو الواسطة فيه، أو يكون بالإلهام، أو بغير ذلك
قطعي الثبوت، فهو متواتر كله.	منه الصحيح والضعيف والموضوع.
مُتعبّد بتلاوته، فمن قرأه فكلّ حرف بحسنة، والحسنة بعشر أمثالها.	غير مُتعبد بتلاوته.
مقسم إلى سور وآيات وأحزاب وأجزاء.	لا يُقسّم هذا التقسيم.
مُعجز بلفظه ومعناه.	فليس كذلك على الإطلاق.
جاحده يُكفر، بل من يجحد حرفاً واحداً منه يكفر.	فإن من جحد حديثاً أو استنكره نظراً لحال بعض روايته فلا يكفر.
لا يجوز روايته أو تلاوته بالمعنى.	يجوز روايته بالمعنى.
كلام الله لفظاً ومعنى.	فمعناه من عند الله **ولفظه قد يكون** من عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

[٣٢] http://saaid.org/Doat/assuhaim/80.htm

تحدى الله العرب بل العالمين أن يأتوا بمثله لفظاً ومعنى.	فليس محلّ تحدٍّ.

٨. مصنفات في الأحاديث القدسية:[٣٣]

وردت عدّة مصنفات اعتنت بالأحاديث القدسية منها:

كتاب الأحاديث القدسية جمعاً ودراسةً للدكتور عمر علي عبد الله محمد.

كتاب الجامع في الأحاديث القدسية لعبد السلام علوش.

جامع الأحاديث القدسية موسوعة جامعة مشروحة ومحققة لعصام الدين الصبابطي.

[٣٣] محمد صالح المنجد (٢٠١٤/٨/٢٦)، "كتب اعتنت بالأحاديث القدسية"، إسلام سؤال وجواب، اطّلع عليه بتاريخ ٢٠٢١/٩/٢٣. بتصرّف.

الأسبوع السادس

الموضوع الأول: تدوين الحديث

١. مفهوم التدوين:

التدوين لغة: تقييد المتفرق وجمعه في ديوان[٣٤]، قال الزَّبيدي في تاج العروس: "وقد دونه تدوينا جمعه"، والديوان: مجتمع الصحف.

أمّا في اصطلاح أهل العلم: فهو التصنيف والتأليف، وبالتالي فإن تدوين الحديث يُقصد به التصنيف والكتابة فيما نُقل عن النبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– من أقوال أو أفعال أو تقارير.[٣٥]

٢. فائدة كتابة العلم وتدوينه:

أ. عدم ضياع العلوم وحفظها من الضياع والاستعانة بالحفظ لتثبيت المعارف والمفاهيم.

ب. انتفاع الأجيال القادمة بالعلم ونقله إليهم، فكم من الكتب بيننا وبين مؤلفيها قرون كثيرة.

٣. التدوين في القرن الأول الهجري[٣٦]

أولا: تدوين السنة بدأ في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية نزول القرآن عن كتابةِ الحديث؛ لئلاَّ يختلطَ بكلام الله، وبعد أن أمِن الرسولُ صلى الله عليه وسلم الْتباسَ الحديث بالقرآن، سمح بكتابته بصفة عامة، فانبرى عدد من الصحابة بتدوين الحديث، فقد كان عبد الله

---

[٣٤] الزهراني، تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ص ١٤

[٣٥] المرجع السابق ص ١٤

[٣٦٣٦] المرجع السابق ص ٦٥

بن عمرو، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، ممَّن يكتبون الحديث خوفًا من نسيانِه، على الرغم من حفظِهم له وقوة حفظهم.

ومن الصحف التي كُتِبت في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – صحيفة سعد بن عبادة الأنصاري، وصحيفة ابن جندب (ت ٦٠هـ)، وكان لجابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ) صحيفةٌ أيضًا، والصحيفة الصادقة التي كتبها جامعُها عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ).

الأحاديث والآثار الواردة في الإذن بكتابة الحديث:

– حديث أبي هريرة: "ما من الصحابة أحدٌ أكثر حديثاً مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه يكتب وأنا لا أكتب".

– وعنه أيضاً قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح مكة إلى أن قال: "اكتبوا لأبي شاة".

– حديث ابن عباس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه: "ائتوني بكتابٍ أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده".

– حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق".

ثانيا: جهود الصحابة رضي الله عنهم في تدوين السُّنَّة المطهَّرة ونقلها إلى الأمَّة.

لقد كانت جهود هذا الجيل المبارك هي الأساس الأول في تدوين السُّنَّة وحفظها ونقلها إلى الأمة، كما كانت جهودهم رضوان الله عليهم هي الأساس في نشر الدين وترسيخ العقيدة وحماية السُّنَّة من كل ما يشوبها، ومن تلك الجهود:

– الحث على حفظ الحديث وتثبيت ذلك الحفظ، حتى كان كثيرا منهم يأمر تلاميذه بالكتابة لتثبيت حفظهم ثم محو ما كتبوه حتى لا يتكل على الكتاب.
– كتابة السُّنَّة بعضهم إلى بعض مثل ما كتب أسيد بن حضير الأنصاري رضي الله عنه بعض الأحاديث النبوية، وقضاء أبي بكر وعمر وعثمان، وأرسله إلى مروان بن الحكم.
– حث تلاميذهم على كتابة الحديث وتقييده كما كان أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه يحثُّ أولاده على كتابة العلم فيقول: "يا بني قيدوا العلم بالكتاب".

ثالثا: جهود التابعين في تدوين السُّنَّة المشرفة:

تلقى التابعون رحمهم الله السُّنَّة، بل الدِّين كله عن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم فقاموا بمهمة تبليغ الرسالة من بعد شيوخهم إلى الناس كافة، فكانوا خير جيل بعد ذلك الجيل، وقد بذل جيل التابعين في خدمة السُّنَّة وتدوينها وحفظها جهوداً كبيرة، ومن تلك الجهود:

– الحث على التزام السُّنَّة وحفظها وكتابتها والتثبت في روايتها وسماعها
– تدوينهم للسُّنَّة في الصحف كما انتشرت كتابة الحديث في جيل التابعين على نطاق أوسع مما كان في زمن الصحابة، إذ أصبحت الكتابة ملازمة لحلقات العلم المنتشرة في الأمصار الإسلامية آنذاك

رابعا: جهود الإمامين عمر بن عبد العزيز وابن شهاب الزهري في تدوين السُّنَّة

أمر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز في نهاية القرن الهجري الأول بتدوين السنة النبوية رسمياً بإشراف الدولة وتوجيهها، فكتب إلى أمراء الأقاليم، أن يكلفوا علماء

الشريعة وأئمة الدين في بلدانهم بجمع السنة النبوية من أهل العلم الموثوقين، وتدوينها، فتصدى أئمة العلم لتدوين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دواوين مخصوصة ومنهم محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري وهو من علماء التابعين وفقهائهم.

وكانت طريقتهم في التدوين جمع كل ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير القرآن وبيان شرائع الإسلام من العقائد والعبادات والمعاملات والغزوات والأقضية، ومن شدة حرصهم على تنقية السنة النبوية من أقوال التابعين حرصوا على الإسناد وقال قائلهم: الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء. وقالوا: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

٤. التدوين في القرن الثاني الهجري[٣٧]

يشمل هذا القرن جيل كبار التابعين وأتباع التابعين الحلقة الثالثة – بعد جيل الصحابة والتابعين – في سلسلة رواة السُّنَّة ونقلة الدِّين إلى الأمَّة، ولقد كان لهذا الجيل أثره الرائد في التصدي لأصحاب البدع والأهواء، ومقاومة الكذب الذي فشى في هذا العصر على أيدي الزنادقة الذين بلغوا ذروة نشاطهم ضد السُّنَّة ورواتها في منتصف هذا القرن، حتى اضطر الخليفة المهدي رحمه الله إلى تكليف أحد رجاله بتتُّبع أخبارهم والتضييق عليهم في أوكارهم، فأصبح ذلك الرجل يعرف بصاحب الزنادقة.

[٣٧] المرجع السابق ص ٨٧

ويعتبر هذا الجيل بجيل التأسيس لعلوم السُّنَّة المطهَّرة، ففيه عاش جهابذة رجال السُّنَّة أمثال الأئمة: مالك، والشافعي، والثوري، والأوزاعي، وشعبة، وابن المبارك، وابراهيم الفزاري، وابن عيينة، والقطان، وابن مهدي، ووكيع وغيرهم كثير.

الموضوع الثاني

ممن اشتهر بوضع المصنفات في الحديث في هذا القرن:

- أبو محمد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت ١٥٠ هـ) بمكة.
- محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت ١٥١ هـ) بالمدينة.
- معمر بن راشد البصري ثم الصنعاني (ت ١٥٣ هـ) باليمن.
- سعيد بن أبى عروبة (ت ١٥٦ هـ) بالبصرة.
- أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (ت ١٥٦ هـ) بالشام.
- شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠ هـ) بالبصرة.
- أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري (ت ١٦١ هـ) بالكوفة.
- الليث بن سعد الفهمي (ت ١٧٥ هـ) بمصر.
- الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) بالمدينة.

٥. التدوين في القرن الثالث الهجري[٣٨]

يعتبر هذا القرن عصر ازدهار العلوم الاسلامية عامة وعلوم السُّنَّة النبوية خاصة، بل يعد هذا القرن من أزهى عصور السُّنَّة النبوية، إذ نشطت فيه الرحلة لطلب العلم ونشط فيه التأليف في علم الرجال، وتُوسِّع في تدوين الحديث، فظهرت كتب المسانيد والكتب الستة – الصحاح والسنن – التي اعتمدتها الأمَّة واعتبرتها دواوين الإسلام.

وقد برز في هذا العصر كثير من الحفاظ والنقاد والعلماء الجهابذة من أمثال: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، ومحمد بن مسلم

[٣٨] المرجع السابق ص ٩٥

بن وارة، وأبو عبد الله البخاري، ومسلم بن الحجاج، وأبو زرعة، وأبو حاتم الرازي، وعثمان بن سعيد، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، وغيرهم كثير ممن كان على أيديهم تأسيس كثيرٍ من علوم الحديث عموماً وعلم الجرح والتعديل خصوصاً.

تنوعت المصنفات في تدوين السُّنَّة، حيث ظهرت الأنواع التالية:

أ- كتب المسانيد: التي تعنى بجمع أحاديث كل صحابيٍّ على حدة كمسند الإمام أحمد وغيره.

ب- كتب الصحاح: التي تعنى بتصنيف أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الكتب والأبواب مع العناية ببيان الصحيح من غيره كصحيحي البخاري ومسلم.

ج- كتب السنن: التي تعني بجمع أحاديث الأحكام المرفوعة مرتبة على أبواب الفقه، وأشهر كتب السنن سنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجة، ويطلق على هذه السنن: السنن الأربعة.

٦. التدوين في القرن الرابع الهجري[٣٩]

وتابع علماء السنة في القرن الرابع من سبقهم في خدمة السنة المطهرة وعلومها، فكان منهم من نسج على منوال الصحيحين في تخريج الأحاديث الصحيحة من ذلك مثلاً-:

صحيح ابن خزيمة ت ٣١١هـ

[٣٩] المرجع السابق ص ١٤٩

صحيح ابن حبان ت ٣٥٤هـ.
صحيح ابن السكن ت ٣٥٣هـ.
صحيح الحاكم ت ٤٠٥هـ وغيرها.

ومنهم من نهج منهج أصحاب السنن في الاقتصار على أحاديث السنن والأحكام، مع اشتمالها على الصحيح وغيره، وذلك مثل:
منتقى ابن الجارود ت ٣٠٧هـ.
سنن الدارقطني ت ٣٨٥هـ
سنن البيهقي ت ٤٥٨هـ

وكذلك نجد من اعتنى في هذا القرن بالتأليف في مختلف الحديث ومشكله، كما في كتابي الطحاوي ت ٣٢١هـ.
١ –شرح معاني الآثار
٢– مشكل الآثار

٧. التدوين في القرن الخامس الهجري[٤٠]

إن علماء هذا القرن ابتكروا طريقة جديدة للمساهمة في خدمة السنة المطهرة في مجال تدوينها وحفظها، فكانت تلك الطريقة هي النواة الأولى للموسوعات الحديثية، وهذا الابتكار الجديد هو الجمع بين كتب الحديث المؤلفة سابقاً مثل الصحاح والسنن وغيرهما، ومن أهم المصنفات في هذا الموضوع ما يلي:

[٤٠] المرجع السابق ص ١٨١

أولاً: الجمع بين الصحيحين:

١ –الجمع بين الصحيحين للحافظ أبي مسعود إبراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي ت ٤٠١هـ

٢ –الجمع بين الصحيحين لإسماعيل بن أحمد المعروف بابن الفرات ت ٤١٤هـ.

٣ –الجمع بين الصحيحين لأبي بكر أحمد بن محمد بن غالب البرقاني ت ٤٢٥هـ.

٤ – الجمع بين الصحيحين للحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦هـ.

٥ –الجمع بين الصحيحين تأليف أبي محمد الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ت ٦٥٠هـ وهو مطبوع باسم "مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية."

ثانياً: الجمع بين الكتب الخمسة أو الستة:

١ –التجريد للصحاح والسنن – الصحيحان والموطأ والترمذي وأبو داود والنسائي – للحافظ أبي الحسن رزين بن معاوية السرقسطي ت ٥٣٥هـ.

٢ –الجمع بين الكتب الستة – الصحيحان والموطأ والسنن ما عدا ابن ماجة – لأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلي ت ٥٨١هـ.

٣ –جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لمجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ٦٠٦هـ.

٤– أنوار المصباح في الجمع بين الكتب الستة الصحاح لأبي عبد الله بن عتيق بن علي التجيبي الغرناطي ت ٦٤٦هـ.

الأسبوع السابع

تعريف التوحيد

التوحيد **لغة:** مصدر وَحَّد الشيءَ يُوَحِّده توحيداً إذا أفرده، ونفى عنه التعدد.

والتوحيد **شرعاً:** علم يُبْحَث فيه عن وجود الله وما يجب أن يثبت له من صفات، وما يجوز له أن يُوصف به، وما يجب أن يُنْفَى عنه.

أو أنّه اعتقاد وإثبات الوحدانيةِ لله في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له[٤١].

حجية التوحيد من القرآن والسنة

أولا: حجيّة الميثاق

قوله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ * أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ * وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٤٢].

قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا حجاج حدثني شعبة عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: "يقالُ للرجلِ من أهلِ النارِ يومَ القيامةِ: أرأيْتَ لو كان لكَ ما على الأرضِ من شيءٍ أكنتَ مفتدياً بِه؟ قال: فيقولُ نعم. قال فيقول: قد

---

[٤١] الشيخ محمد عبده. **رسالة التوحيد**، ص٧. قال الشهرستاني:" فقد قال أهل السنة وجميع الصفاتية: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له"، راجع الملل والنحل ج١/ص٤٢.

[٤٢] الأعراف: ١٧٢-١٧٤.

أردْتُ منكَ أهونَ من ذلِكَ؛ أخذتُ عليكَ في ظهرِ آدمَ أنْ لَّا تُشْرِكَ بي شيئًا فأبَيْتَ إِلَّا أنْ تُشْرِكَ بي"[43].

وقال الإمام السيوطي[٤٤]:"أخرج عبد بن حميد وعبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن منده في كتاب الرد على الجهمية واللالكائي وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات وابن عساكر في تاريخه عن أبي بن كعب في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ... إلى قوله: بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾، قال: جمعهم جميعا فجعلهم أرواحا في صورهم، ثم استنطقهم فتكلموا، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع، وأشهد عليك أباكم آدم؛ أن تقولوا يوم القيامة إنا لم نعلم بهذا، اعلموا: أنه لا إله غيري، ولا رب غيري، ولا تشركوا بي شيئاً، إني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي .قالوا: شهدنا بأنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك، فأقروا، ورفع عليهم آدم ينظر إليهم، فرأى الغني والفقير، وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: يا رب لولا سويت بين عبادك. قال: إني أحببت أن أُشكر".

ثانيا: حجيّة الفطرة

إن أبا هريرة رضي الله عنه كان يحدث: قال النبي ﷺ:«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ

---

[43] أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٢٧)، وأخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم وذريته، حديث رقم:٣٣٣٤، وفي كتاب الرقاق باب من نوقش الحساب عذب، حديث رقم:٦٥٣٨، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم:٢٨٠٥.

[٤٤] الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/ ١٥٤ – ١٥٥).

فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ثُمَّ يَقُول أَبُو هُرَيْرَة رَضِي الله عَنهُ:﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ الْآيَة[45]».

وقال الإمام ابن القيم: "وقال الإمام أحمد في رواية الميموني: الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها، فقال له الميموني: الفطرة الدين؟ قال: نعم".

وقال الإمام البخاري: "الفطرة: الإسلام"[٤٦].

وقال الشوكاني: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الفطرة في الأصل: الخِلقَة، والمراد بها هنا الملة، وهي: الإسلام والتوحيد.

والقول بأن المراد بالفطرة هنا: الإسلام، هو مذهب جمهور السلف[٤٧]. والفطرة تستلزم: معرفة الله، ومحبته، وتخصيصه بأنه أحب الأشياء إلى العبد وهو التوحيد.

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حِمارٍ أن النبي ﷺ قال: "يقول الله: إني خلقتُ عبادي حنفاءَ". فأخبر أنه خلقهم حنفاء، وذلك يتضمن: معرفة الرب، ومحبته، وتوحيده. فهذه الثلاثة تضمنتها الحنيفية، وهي معنى قول "لا إله إلا الله". فإن الإله هو المألوه الذي يستحق أن يكون مألوهاً؛ وهذا أعظم ما يكون من المحبة. وفيها أنه لا إله إلا هو. ففيها: المعرفة، والمحبة، والتوحيد.

وكل مولود يولد على الفطرة، وهي الحنيفية التي خلقهم عليها؛ ولكن أبواه يفسدان ذلك، فيهودانه، وينصرانه، ويمجسانه، ويشركانه، وكذلك يجهمانه، فيجعلانه منكراً لما في قلبه من معرفة الرب ومحبته وتوحيده.

---

[45] أخرجه البخاري في صحيحه/كتاب الجنائز رقم: ١٣٥٨.

[٤٦] صحيح البخاري/كتاب التفسير – باب (لا تبديل لخلق الله). (٨/ ٣٧٢ فتح).

[٤٧] فتح القدير (٤/ ٢٢٤:٢٢٣).

ثالثا: حجيّة العقل

قال ابن القيم في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٤٨]، "أي: لو كان في السماوات والأرض آلهة تعبد غير الله لفسدتا وبطلتا. ولم يقل "أرباب" بل قال "آلهة" والإله هو المعبود والمألوه – وهذا يدل على أنه من الممتنع المستحيل عقلا أن يشرع الله عبادة غيره أبداً، وأنه لو كان معه معبود سواه لفسدت السماوات والأرض. فقبح عبادة غير الله قد استقر في الفطر والعقول وإن لم يرد بالنهي عنه شرع، بل العقل يدل على أنه أقبح القبيح على الإطلاق، ومن المحال أن يشرعه الله قط؛ فصلاح العالم في أن يكون الله وحده هو المعبود، وفساده وهلاكه في أن يعبد معه غيره. ومحال أن يشرع لعباده ما فيه فساد العالم وهلاكه؛ بل هو المنزه عن ذلك".

إن حسن التوحيد وقبح الشرك من أثبت الثوابت وأركز المرتكزات في الفطر والعقول. ومن ثمّ استحال جواز الشرك فيهما ما دامت السماء سماء والأرض أرضاً. فحسن التوحيد وقبح الشرك حقيقة ثابتة راسخة، ولو لم ترسل الرسل وتنزل الكتب. فالعقل قاطع بوجوب عبادة الفاطر الخالق، المربي المنعم، المالك لجلب النفع، ولدفع الضر، وكذا يقطع بحرمة عبادة كل مخلوق مربوب محدث.

وقد هيأ الله العقول للقيام بالبراهين الباهرة والحجج الدامغة والأدلة الدالة على تلك الحقيقة التي كانت سبباً لانبثاق كافة الحقائق؛ وبهذا كانت الفطر والعقول من أقوى مستندات النبيين والمرسلين على الملحدين والمشركين. وبذلك أصبح العقل حجة مستقلة في بطلان الشرك، ولو لم يرد بحرمته شرع.

---

[٤٨] الأنبياء: ٢٢.

الأسبوع الثامن: تدوين التوحيد

لا شك أن التوحيد جاءت به الرسل والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، وأما علم التوحيد فقد مر في وضعه وتدوينه بطورين: **أولهما:** طور الرواية ما قبل التدوين، **والثاني:** طور التدوين والاستقرار.

أولا: طور الرواية

لم يكن الرعيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم بحاجة إلى التدوين في العلوم الشرعية، فقد كانوا يتلقون عن رسول الله ﷺ الوحيين، "ويوردون عليه ما يشكل عليهم من الأسئلة والشبهات فيجيبهم عنها بما يثلج صدورهم، وقد أورد عليه من الأسئلة أعداؤه وأصحابه، أعداؤه للتعنت والمغالبة، وأصحابه للفهم والبيان وزيادة الإيمان"[49].

وكل ذلك رواه الصحابة عن النبي ﷺ لمن بعدهم، فكانت مسائل الاعتقاد محفوظة في أذهانهم، مُسْتَدَلًّا عليها بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، ولم يقع بينهم اختلاف في شأن العقيدة؛ بل اجتمعوا على عقيدة صحيحة، سالمة نقية خالية من كل شوب، فكانوا "أقرب إلى أن يوفقوا إلى الصواب من غيرهم بما خصهم الله به من توقد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وتقوى الرب، فالعربية طريقتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم. علموا التنزيل وأسبابه، والتأويل وآدابه، وعاينوا الأنوار القرآنية، والأشعة المصطفوية، فهم أسعد الأمة بإصابة الصواب، وأجدرها بعلم فقه السنة والكتاب"[50].

---

[49] ابن القيم: **زاد المعاد**، ١٢٥/٣.

[50] ابن القيم: **إعلام الموقعين**، ١٤٨/٤-١٥٠ بتصرف.

لأجل هذا لم يكن الصحابة رضي الله عنهم بحاجة إلى تدوين علم التوحيد أو تصنيف كتب فيه.

ثانيا: طور التدوين

وبدأ هذا في حياة التابعين، وإن وقعت في زمنه ﷺ صور من الكتابة والتدوين، حيث ابتدأ ذلك الإمام الزهري رحمه الله تعالى، ثم شاع ذلك في النصف الأول من القرن الثاني الهجري كما فعل الإمام مالك في الموطأ، حيث رتبت الأحاديث على أبواب تتعلق بالتوحيد مثل: باب الإيمان، وباب التوحيد، وباب العلم. ولعل هذا التبويب للأحاديث كان النواة الأولى في استقلال كل باب فيما بعد بالتصنيف والبحث.

ومما أوقد جذوة التدوين ما وقع في آخر زمن الصحابة من بدع واختلاف في العقيدة، كما في مسألة القدر، وكان أول من تكلم به معبد الجهني (ت: ٨٠هـ)، ومسألة التشيع والغلو في آل البيت، وفتنة عبد الله بن سبأ، كما وقعت من قبل بدعة الخوارج وصرحوا بالتكفير بالذنوب، وبعد ذلك نشأ مذهب المعتزلة على يد واصل بن عطاء (ت: ١٣١هـ). وصنف في مسائل من العقيدة ما خالف به الصحابة والتابعين، وخرج على إجماع خير القرون في الاعتقاد، فتصدى له التابعون بالرد عليه والمناظرة في هذه المسائل، ثم بدأ التصنيف في عقيدة أهل السنة حين أصبح ضرورة لابد منها لنفي تأويل المبطلين، ورد انحراف الغالين.

وكان أول مدون عرفناه في العقيدة – على هذا النحو – هو كتاب **الفقه الأكبر** لأبي حنيفة رحمه الله (ت: ١٥٠هـ)، حدد فيه أبو حنيفة عقائد أهل السنة تحديدا منهجيا ورد فيه على المعتزلة، والقدرية، والجهمية، والشيعة، واشتمل على خمسة أبواب – في أتم رواياته –: الأول في القدر، والثاني والثالث في المشيئة، والرابع في الرد على من يكفر

بالذنب، والخامس في الإيمان، وفيه حديث عن الأسماء والصفات، والفطرة، وعصمة الأنبياء، ومكانة الصحابة، وغير ذلك من مباحث العقيدة.

كما ثبت أن الإمام عبد الله بن وهب رحمه الله (ت: ١٩٧هـ) وضع كتابا في القدر على طريقة المحدثين في جمع الأحاديث وإن كان دون تبويب.

ثم تتابع التأليف بعد أبي حنيفة في علم التوحيد، ولكن بأسماء مختلفة لهذا العلم. فمن أول ذلك كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ).

وتبعه على هذا كثيرون إلى يوم الناس هذا، كما ظهر مصطلح السنة للدلالة على ما يسلم من الاعتقادات، واشتهر ذلك زمن الإمام أحمد رحمه الله.

ومن الكتب المصنفة باسم السنة، كتاب السنة لابن أبي شيبة رحمه الله (ت: ٢٣٥هـ) والسنة للإمام أحمد رحمه الله (ت: ٢٤٠هـ) وغير ذلك.

ثم ظهر مصطلح التوحيد في مثل كتاب التوحيد لابن سريج البغدادي رحمه الله (ت: ٣٠٦هـ)، وكتاب التوحيد لابن خزيمة رحمه الله (ت: ٣١١هـ).

وواكب ذلك ظهور مصطلح أصول الدين، ثم ظهر التأليف باسم العقيدة أوائل القرن الخامس الهجري، واستقرت حركة التصنيف ومنهج التأليف، واستقل علم التوحيد علما متميزا عن غيره بلقب ومنهج مخصوص.

مؤلفات في التوحيد

	الكتاب	المؤلف
١	**الإبانة عن أصول الديانة**	الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت:٣٣٠)

٢	**كتاب الإيمان**	الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى ابن منده الأصبهاني العبدي (ت:٣٩٥)
٣	**كتاب التمهيد**	القاضي أبو بكر محمد بن الطبيب بن الباقِلاّني (ت:٤٠٣)
٤	**تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**	القاضي الباقِلاّني (ت:٤٠٣)
٥	**أصول الدين**	الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي (ت:٤٢٩)
٦	**الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد**	الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي (ت:٤٥٨)
٧	**التمهيد لقواعد التوحيد**	الإمام أبو الثناء محمود بن زيد اللامشي الحنفي الماتريدي (ت:٥٢٢)
٨	**لمعة الاعتقاد**	الإمام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي (ت:٦٢٠)
٩	**كتاب الإيمان**	العلامة شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرّاني الدمشقي الحنبلي المعروف بـ ابن تيمية (ت:٧٢٨)
١٠	**العقيدة الطحاوية بيان عقيدة أهل السنة والجماعة**	لأبي جعفر الطحاوي (ت ٣٢١)
١١	**شرح العقيدة الطحاوية**	الإمام علي بن علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي (ت:٧٩٢)

الأسبوع التاسع

الموضوع الأول: تعريف التشريع الإسلامي

تعريف الشرع في اللغة: مصدر شَرَعَ بالتخفيف، والتشريع في اللغة مصدر شَرَّعَ بالتشديد. والشريعة في أصل الاستعمال اللغوي: مورد الماء الذي يُقصد للشرب، ثم استعملها العرب في الطريقة المستقيمة؛ وذلك باعتبار أن مورد الماء سبيل الحياة والسلامة للأبدان، وكذلك الشأن من الطريقة المستقيمة التي تهدي الناس إلى الخير.[٥١] فيعرف التشريع بمعنى نهج وسن وأوضح المسالك كما قال الله تعالى: "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا" (الشورى:١٣) وقال سبحانه: "أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله" (الشورى:٢١).

وأما الشريعة الإسلامية في الاصطلاح: ما شرعه الله تعالى لعباده من العقائد، والعبادات، والأخلاق، والمعاملات، ونظم الحياة في شعبها المختلفة؛ لتحقيق سعادتهم في الدينا والآخرة. فشريعة الله تعالى هي المنهج الحق المستقيم، الذي يصون الإنسانية من الزيغ والانحراف، ويجنبها مزالق الشر، ونوازع الهوى، وهي المورد العذب الذي يشفي غلتها، ويحيي نفوسها، وترتوي به عقولها. ولهذا كانت الغاية من تشريع الله تعالى استقامة الإنسان على الجادة؛ لينال عِزَّ الدنيا، وسعادة الآخرة.[٥٢]

---

[٥١] مناع قطان: **التشريع والفقه في الإسلام تاريخا ومنهجا** (١٩٨٢) بيروت: مؤسسة الرسالة. ص:١٤

[٥٢] المرجع السابق نفسه.

الموضوع الثاني: حجية التشريع من القرآن والسنة

قال الله تعالى: "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا" (الشورى:١٣) وقال تعالى: "تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا" (الفرقان:١)

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه أن يدل على خيرِ ما يعلمه لهم، وينذرهم شرَ ما يعلمه لهم"، فالأنبياء كلهم قد أَدَّوا الأمانة بتبليغ الرسالة، ودلوا أممهم على كل ما ينفعهم وحذروهم من كل ما يضرهم. وقال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أنس بن مالك: "تركتُ فيكم أَمْرَيْنِ لن تَضِلُّوا ما تَمَسَّكْتُمْ بهما : كتابَ اللهِ وسُنَّةَ نبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ". (رواه مالك في الموطأ)

الفرق بين التشريع السماوي والتقنين الوضعي[٥٣]

ذكر عبد القادر عودة في مقدمة الجزء الأول من كتابه "التشريع الجنائي في الإسلام"، هذه الفوارق، وهي:

١. القانون الوضعي تنظيم بشري من صنع الناس، لا ينبغي مقارنته بالتشريع السماوي الذي جاء من عند الله؛ للفرق بين الخالق والمخلوق، ولن يستوي لدى العقول أن يُقارن ما صنعه الناس بما صنعه رب الناس.
٢. والذين يضعون القانون بشر، يخضعون للأهواء والنزعات، وتتغلب عليهم العواطف البشرية، فيقعون تحت تأثير هذه العوامل التي تحيد بهم عن تقدير

---

[٥٣] مناع بن خليل القطان: **تاريخ التشريع الإسلامي**، مكتبة وهبة ص: ١٩-٢٢.

الحق، والقيام على شئون الحياة بالقسط، ومهما ارتقى الناس في سلم المعرفة، فإنهم لا يستطيعون أن يدركوا حقائق الأمور، وأن يحيطوا بها خبرًا، وبهذا تكون القوانين الوضعية عرضة للتغيير والتبديل، ولا يكون لها مقياس ثابت لحكم، فما هو حلالٌ اليوم قد يصير حرامًا غدًا، وبذلك تختلف موازين الحياة ومقاييس الخير والشر، وتتلون بتلون الإنسان وتحوُّل ميوله وعواطفه، فتظل الحياة الإنسانية في اضطراب دائم، كما نشاهده اليوم في حياة الأمم التي تحكم بغير ما أنزل الله.

والشريعة وحي إلهي منزه عن ذلك كله، فهي تنزيل الحكيم العليم، الذي يعلم أحوال عباده، وما يصلح معاشهم ومعادهم، وما يحقق لهم الخير في دنياهم وأخراهم ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٥٤]، وهو سبحانه منزه عما يعتري الخلق من القصور والنقص ﴿لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى﴾[٥٥]. وقد بينت الشريعة الإسلامية الأصول الكلية التي تقوم عليها حياة البشر، ولا سبيل إلى الأخذ فيها بالرأي المجرد عن الدليل، والنبي ﷺ مع عصمته لا يتبع إلا الوحي ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيّ﴾[٥٦]، ولا يكون حكمه إلا بما علم عن الله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّه﴾[٥٧]، وانتزاع التشريع من أيدي البشر، ورده إلى الله ورسوله يضع لنا شريعة ربانية ثابتة المقياس لا يعتريها خلل أو قصور.

---

[٥٤] الملك: ١٤.

[٥٥] طه: ٥٢.

[٥٦] الأنعام: ٥٠.

[٥٧] النساء: ١٠٥.

٣. والقانون الوضعي نظام محدود القواعد، يلبي حاجة الجماعة لتنظيم حياتهم الحاضرة، ويتطور بتطورها، نشأ بادئ ذي بَدء في نظام الأسرة، ثم في نظام القبيلة، ولم يتحول إلى نظريات علمية إلا في القرن التاسع عشر. والتشريع السماوي –بعامة– يولد متكاملًا وافيًا بمطالب الحياة، محكم النسيج، صافي المورد.

٤. وقواعد القانون الوضعي مؤقتة لجماعة خاصة في عصر معين، فهي في حاجة إلى التغيير كلما تطورت الجماعة وتجددت مطالبها.

وقواعد الشريعة الإسلامية –بصفة خاصة– لم تأت لقوم دون قوم، أو لعصر دون عصر، ولكنها قواعد كلية ثابتة مستقرة، تسد حاجة الجماعة وترفع مستواها في كل عصر، وقد مر على الشريعة الإسلامية زهاء أربعة عشر قرنا من الزمان، تغيرت فيها أوضاع الجماعات، واندثرت فيها مئات القوانين والأنظمة، وانقلبت مبادئها رأسا على عقب، ولا تزال تلك الشريعة غضة صالحة لكل زمان ومكان، تحمل نصوصها عناصر النمو والارتقاء.

٥. والقانون الوضعي لا يتناول سوى المعاملات المدنية، في الشئون الاجتماعية والاقتصادية التي تقوم عليها سلطة الدولة إذا استثنينا ما يتصل بالعلاقات الدولية، ولا يمت بصلة إلى عقيدة التوحيد ومقتضياتها.
والشريعة الإسلامية تتناول الإيمان بالله ورسله وعالم الغيب، وصلة العبد بربه، وسلوكه الأخلاقي، وأنظمة الحياة المختلفة في شتى مرافقها.

٦. والقوانين الوضعية تهمل المسائل الأخلاقية، وتَقْصُر المخالفة على ما فيه ضرر مباشر بالأفراد، أو إخلال بالأمن والنظام العام، فلا تعاقب القوانين

الوضعية على الزنا في هاتين الحالتين إلا عندما يمس ضرره المباشر الأفراد، كما يمس الأمن العام، وأكثر القوانين الوضعية لا تعاقب على شرب الخمر، ولا تعاقب على السكر لذاته، وإنما تعاقب السكران إذا وجد في الطريق العام في حالة سكر بيّن، فالعقاب على وجوده في حالة سكر في الطريق العام؛ لأن وجوده في هذه الحال يعرض الناس لأذاه واعتدائه، وليس العقاب على السكر لذاته باعتباره رذيلة، ولا على شرب الخمر باعتبار أن شربها مضر بالصحة، مذهب للعقل، متلف للمال، مفسد للأخلاق.

والشريعة الإسلامية شريعة أخلاقية، وليست الأخلاق في الإسلام أدبا يجمل صاحبه، ولكنها التزامات من واجبات الدين. والأخلاق في الإسلام غاية تربوية للعبادات، والتزام أدبي في المعاملات، يجعل حياة الناس قائمة على المعروف والحسنى، وقد حث الإسلام على أمهات الفضائل الإنسانية ودعا إلى المثل العليا، وأثنى على مكارم الأخلاق، وقال الله في نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥٨].

٧. تفقد القوانين الوضعية سلطتها على النفس البشرية؛ لأن سلطة العقوبة وحدها لا تكفي في ردع المجرم، ولذا فإن واضعي القانون يعملون على ترضية الجماهير وإقناعها بصلاحية النظم التي وضعوها حتى يمتثلوها، ولكن الناس يدركون أن لا سلطة للقوانين الوضعية إلا إذا وقع المرء تحت طائلة المخالفة، وضبط متلبسا بجريمته؛ إذ لا علاقة لها بالحياة الآخرة، فيكون المجال فسيحًا للخروج على القانون بوسائل الحيلة والدهاء. فلا يقف قانون مهما كان دقيقًا دون وصول الناس إلى أغراضهم السيئة.

[٥٨] القلم: ٤.

والشريعة الإسلامية تنبثق من فكرة الحلال والحرام، والإيمان بالدار الآخرة، وتربي الضمير الإنساني؛ ليكون رقيبا على المسلم في السر والعلن، يخشى عقاب الله الأخروي أكثر من خشيته للعقاب الدنيوي، فالفعل التعبدي، أو المدني أو الجنائي، أو الدستوري، أو الدولي، له أثره المترتب عليه في الدنيا من أداء الواجب، أو إفادة الحل والملك، أو إنشاء الحق أو زواله، أو توقيع العقوبة، أو ترتيب المسئولية، ولكن هذا الفعل الذي يترتب عليه أثره في الدنيا له أثر آخر مترتب عليه في الآخرة هو المثوبة أو العقوبة الأخروية، ومن يتتبع آيات الأحكام يجد كثيرا منها قد رتب عليها جزاءان: جزاء دنيوي وجزاء أخروي.

الأسبوع العاشر

الموضوع الأول: أهمية التشريع

أهمية الشريعة الإسلامية: الشريعة الإسلامية جاءت **وافية بمطالب الحياة الإنسانية،** تسد عوزها وتحقق لها أهداف العمران من شتى جوانب حياتها الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية. فالإسلام عقيدة، وعبادة، وخلق، وتشريع، وحكم، وقضاء، ومسجد، وسوق، وهو علم، وعمل، ومصحف، وجهاد. وهذا هو كمال الدين، وتمام النعمة، حيث قال تعالى: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا"[٥٩].

فلا تأمر الشريعة إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة، ولا تنهى إلا عما فيه مفسدة خالصة أو راجحة. وهي مبنية على الحكمة، والرحمة من الله تعالى، ومصالح العباد في المعاش والمعاد.

[٥٩] المرجع نفسها، ص:٢٠ بتصرف.

الموضوع الثاني: خصائص التشريع الإسلامي

الشريعة الإسلامية لها خصائص كثيرة، إليك بعضا منها:

أ. **الربانية:** الشريعة الإسلامية تجعل غايتها الأخيرة، وهدفها البعيد في كل شرائعها حسن الصلة بالله تبارك وتعالى، والحصول على مرضاته، وبالتالي هي غاية الإنسان ومنتهى سعيه في الحياة: "يَا أَيُّهَا الإنسان إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ" (الانشقاق:٦)، "وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى" (النجم:٤٢). وبهذا يعرف الإنسان لوجوده غاية، ويعرف لمسيرته وجهة ويهتدي إلى فطرته التي فطره الله عليها، يقول تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} (الروم:٣٠). وللوصول إلى هذه الغاية وأهدافه يكون منهجه ومصدره وحي الله تعالى وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

ب. **الإنسانية:** الإسلام قائمة على أنه دين عالمي وليس لقوم بعينهم، وأن ميزان التفاضل فيه قائم على العمل الصالح والتقوى بعيدًا عن فخر ومجد الأنساب. والقيم الإنسانية الإسلامية تدعو إلى احترام الكرامة والحرية الإنسانية وتدعو إلى صون دم الإنسان وماله وعرضه وعقله ونسله، بوصفه عضوًا في المجتمع. إن الإخاء والمساواة والحرية هي النزعة الإنسانية الأصيلة في الإسلام.

ت. **الشموليّة:** شموليّة الإسلام هي نظام ممنهج متكامل يهتم بشؤون الحياة بمختلف مجالاتها، ويؤدي دوراً مهماً في تنظيم الحياة العقائدية من الناحية الدينية، والمتمثلة

في العلاقة بين العبد وربه. أرسل الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز إلى العالمين مبيناً فيه كل ما يحتاجه الإنسان في حياته اليومية وفي كافة الأزمان والأماكن في الأرض.

ث. الوسطية: عرف الدكتور يوسف القرضاوي بأنها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين؛ بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله. وأن يفسح لكل طرف منها مجاله، ويعطى حقه بالقسط، لا غلو ولا تقصير، ولا طغيان ولا إخسار. كما أشار إلى ذلك كتاب الله بقوله: (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ، أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) (الرحمن: ٧-٩)

ج. الثبات والمرونة

إن من أهم ما تتميز به الشريعة الإسلامية، أنها جمعت بين الثبات والمرونة، وتضع كلا منهما في موضعه الصحيح. ثبات فيما يجب أن يخلد ويبقى، ومرونة فيما يتغير ويتطور. والثبات يكون على الأصول والكليات، والقيم الدينية والأخلاقية، والمرونة تكون في الفروع والجزئيات، والشئون الدنيوية والعلمية وما يتعلق بجزئيات الأحكام وفروعها العملية. وهذا الثبات نجده يتمثل في العقائد الأساسية وفي الأركان العملية وفي شرائع الإسلام القطيعة في شئون الزواج والطلاق وفي أمهات الفضائل من الصدق والأمانة والعفة والصبر وفي المحرمات اليقينية من السحر وقتل النفس والزنا وأكل الربا وأكل مال اليتيم وغيرها.

فيكون المقصود بالثبات هو ما جاء به الوحي من عند الله فهو ثابت محكم له صفة البقاء والدوام لا تغير له ولا تبديل إلى يوم القيامة. الثبات على الأصول والكليات، والمرونة في الفروع والجزئيات.

الأسبوع الحادي عشر

الموضوع الأول: التمهيد للتراث الإسلامي

١. المقدمة

فهم التراث الإسلامي عند بعض الناس غالبا يدور حول تقسيم الميراث وهي الفرائض وما يتعلق به، بينما مفهوم التراث أوسع من هذا ويشمل جميع الآثار التي وصلت إلينا من الدين الإسلامي، ولذلك التراث الإسلامي له قيمة عالية في تطوير الحضارة الإنسانية، ويجب على كل مسلم أن يهتم به ويتأكد من وصوله إلى الجيل القادم.

٢. تعريف التراث في اللغة:

قال ابن فارس في (ورث): هي الورث. والميراث، وهو أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بسبب أو بنسب.[٦٠]

وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم بمعنى المال المَوْرُوث، في قوله تعالى: {وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا} (الفجر: ١٩)؛ " أَيْ مِيرَاثَ الْيَتَامَى. وَأَصْلُهُ الْوِرَاثُ مِنْ وَرِثْتُ، فَأَبْدَلُوا الْوَاوَ تَاءً .[61]"قال النسفي: {وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ} أي الميراث، {أَكْلاً لَّمًّا} ذا لَمّ؛ وهو الجمع بين الحلال والحرام. وكانوا لا يورّثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم.[٦٢]

---

[٦٠] ابن فارس، مقاييس اللغة، ٦/ ١٠٥.

[61] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٠/ ٥٣.

[٦٢] مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ٣/ ٦٤١.

أما السنة النبوية فقد ذكرت كلمة تراث في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "ولك ربي تراثي[٦٣]." ومن ذلك أيضا كلمة ورثة، ثم يورثوا... في قوله صلى الله عليه وسلم: "إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لا يورثون دينارا ولا درهما فمن أخذه أخذ بحظ وافر"[64]. كما وردت كلمة ميراث على لسان أبي هريرة، رضي الله عنه، لما خاطب الصحابة رضوان الله عليهم: أنتم هنا وميراث محمد يوزع في المساجد... فلما انطلقوا إلى المسجد اندهشوا إذ لم يجدوا سوى حلق الذكر وتلاوة القرآن، فأوضح لهم أبو هريرة، رضي الله عنه، أنه ميراث محمد، صلى الله عليه وسلم.[٦٥]

٣. تعريف التراث في الاصطلاح:

أما اصطلاحا فتتعدد مفاهيم التراث في المجال الاصطلاحي بحسب تعدد الاختصاصات والفضاءات التي تطلق هذا المفهوم، فقد يعني التراث **الثقافة الشعبية** عند بعضهم، وتعني **عادات وتقاليد** أمة وشعب، وقد تعني ما هو **مكتوب ومدون** وعند الباحثين في علوم السلف، ما هو مكتوب من **مخطوطات ونصوص** خلفها السلف والأجداد، ومن التعريفات التي اقترحها بعض العلماء ما يأتي:

هو كل ما وصل إلينا مكتوباً في أي علم من العلوم أو فن من الفنون، أو هو بالتالي كل ما خلفه العلماء في فروع المعرفة المختلفة.[٦٦]

---

[٦٣] رواه الترمذي.

[64] رواه الترمذي في أبواب العلم ١٠/١٥٥، الدارمي في فضل العلم والعلماء ١/٩٨، أبو داوود في كتاب العلم.

[٦٥] ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٢٣.

[٦٦] انظر: "التراث العربي"؛ لعبدالسلام هارون، (ص: ٣ – ٥)، و"مناهج تحقيق التراث"؛ د. رمضان عبدالتواب، (ص: ٨).

هي المكتوبات التي جاءت لنا في صورة مادية مات أصحابها.[٦٧]

التراث الإسلامي هو ما ورثناه عن آبائنا من عقيدة، وثقافة وقيم وآداب وفنون وصناعات وسائر المنجزات الأخرى المعنوية والمادية، ومن ثم فلن يقتصر التراث على المنجزات الثقافية والحضارية والمادية، بل يشمل الوحي الإلهي، القرآن والسنة، الذي ورثناه عن أسلافنا[٦٨].

---

[٦٧] مدخل إلى التراث العربي الإسلامي، د. خالد فهمي، د. أحمد محمود، ص ١١، مركز تراث للبحوث والدراسات، القاهرة، الطبعة ألولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م.

[٦٨] أكرم ضياء العمري، التراث والمعاصرة، سلسلة كتاب الأمة، رقم١٠، ط٢، ص٢٧.

الموضوع الثاني: أهمية التراث الإسلامي

٤. أهمية التراث الإسلامي:

تراثنا تراث علميّ حضاري ثقافي أخلاقي هذا هو الأصل، وأمّة بلا تراث لا وزن لها، وهناك من الأمم من يصنعون تراثا وهميّا، فيصنعون شيئاً من لا شيء.[٦٩]
في العالم الإسلامي، يشكل التراث جزءًا هامًا من الهوية الثقافية والتاريخية للمسلمين. ويتنوع التراث الإسلامي في مختلف المجالات بما في ذلك العلم، والفن، والعمارة، والأدب، والقانون، والفلسفة، والعلوم الاجتماعية.[٧٠]

١. **العلم والتعليم:** يعود جذور التراث العلمي في الإسلام إلى العصور الإسلامية القديمة، حيث كان المسلمون روادًا في مجالات العلوم الطبيعية والرياضيات والفلك والطب والهندسة وغيرها.
٢. **العمارة والفنون:** يتميز التراث الإسلامي بالعمارة الفخمة والفنون الجميلة، مثل الزخارف الهندسية والفسيفساء والخط العربي والزجاج الملون.
٣. **الأدب والشعر:** ساهم الأدب العربي مساهمة بارزة في التراث الإسلامي، وساهم في تطوير آداب الشعوب الإسلامية الشعرية، والنثرية والفلسفية.

---

[٦٩] حمزة اليوسفي و هوية بريس، حوار مع العالم المقاصدي د. أحمد الريسوني، ٢٠١٥.
[٧٠] hashaba.net/2024/02/18/مفهوم-التراث-واهميته-وفروعه/

٤. **القانون والفكر السياسي:** ساهم التراث الإسلامي في تأسيس العديد من النظريات القانونية والفكرية السياسية التي لا تزال تؤثر على المجتمعات الإنسانية حتى اليوم.

٥. **التقاليد والعادات:** يحتفظ التراث الإسلامي بتقاليد وعادات متنوعة تشمل الممارسات الاجتماعية، والدينية والاحتفالات والطقوس.

هذا التراث الغني يعكس تنوع الثقافات والحضارات التي نشأت في العالم الإسلامي عبر العصور، ويسهم في تعزيز الهوية الإسلامية والتواصل بين المسلمين في مختلف أنحاء العالم.

الموضوع الثالث: تدوين التراث الإسلامي

٥. تدوين التراث الإسلامي:[٧١]

يعتبر جمع الشعر الجاهلي أول حركة تاريخية جادة لحماية التراث ونشره، حيث اتجه الاهتمام بجمعه من النصف الثاني للقرن الأول الهجري، ثم ازدادت الحركة في العصر العباسي الأول، وأخذت في النماء والازدهار.

وقد قُصد من حركة الجمع والتدوين أول ما قصد حماية لسان الأمة وخدمة كتاب الإسلام وفهم ألفاظه وتوجيه إعرابه ولمح أسراره في التعبير والبيان، وقد ازدهرت هذه الحركة في القرنين الثاني والثالث للهجرة، على أيدي أئمة ثقاة من الخبراء ذوي البصر بالشعر وكلام العرب.

وجاءت حركة التدوين هذه بتراث ضخم، عكف الدارسون عليه، يستخلصون منه معجم ألفاظ العربية، ويميزون قواعد نحوها واشتقاقها وضوابط شعرها، وأساليبها وخصائصها في التعبير.

واستحدثت الأجيال الإسلامية أنواعاً من التأليف في علوم التفسير والحديث والفقه والعقائد والملل والنحل والفلسفة وتاريخ الإسلام والنظم الإسلامية وتراجم الأعلام وطبقات الرجال، فتركوا لنا تراثهم الخصب في علوم الإسلام وكان القدر الأكبر منه لمؤلفين من علماء الشعوب التي دخلت في الإسلام وتعربت.

---

[٧١] العادلي، التعامل مع التراث الإسلامي بين المداخل الصحيحة والخاطئة: دراسة تحليلية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات – دمنهور، العدد الثاني –المجلد العاشر ٢٠١٧.

الأسبوع الثاني عشر

الموضوع الأول: التمسك بالتراث وإبراز ضرورته[٧٢]

إن التعرف على خصائص تراثنا الإسلامي يجعلنا نستلهم منه أشياء كثيرة تساعدنا على صنع واقع متميز، ومستقبل مشرق، ولذلك يجب على دارسي التراث التعرف على هذه الخصائص، والتي يمكن اختصارها فيما يأتي:

١. التكامل والشمول:

فهو تراث ديني وعلمي وأدبي، شامل لكل ما هو سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي، كما أنه يجمع بين الاستقلالية والحفاظ على الهوية، وبين الانفتاح السهل على ثقافات العالم المختلفة. وإذا كان علماء تصنيف العلوم يقررون أن العلوم تنبثق من شجرة ذات غصون ثلاثة وهي: علوم الآلات، وعلوم الغايات، وعلوم الحكمة، فإن كنز التراث العربي والإسلامي قد حوى كل هذه العلوم الثلاثة.

وكلها تنتظم في سلسلة حلقاتها متراصة ومترابطة، فإذا كانت علوم الغايات تعني علوم الشريعة، وهي كل العلوم المتصلة اتصالاً مباشراً – من حيث الغاية – بما يلزم المسلم إتيانه في الحياة، فإن علوم الآلات هي بمثابة المقدمات التي تعتمد عليها نتائج علوم الغايات، مثال لذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[٧٣]. يتعامل معها علم التفسير فيقول: إن الله تعالى يأمرك بإقامة الصلاة على جهة الوجوب، ثم يأتي عالم الفقه والأصول ويشرح معنى الوجوب، ثم يأتي عالم اللغة فيصحح استنباطهما، فيقول: (أقيموا) فعل أمر، فهو يدل على الوجوب، ثم يوضح علم البلاغة

---

[٧٢] العادلي، د. عطية السيد عطية (٢٠١٧). *التعامل مع التراث الإسلامي بين المداخل الصحيحة والخاطئة دراسة تحليلية*، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات.

[٧٣] البقرة: ٤٣.

أن هذا الفعل لم تصاحبه قرينة تصرفه عن الوجوب إلى الاستحباب مثلاً، فعلوم اللغة هي التي أمدت الفقيه والمفسر بهذه المعارف، لكن الدائرة لا تكتمل، والبنيان لا يصل تمامه إلا بعلوم الحكمة، لقد رأينا الفقيه يبين حكم الوجوب في الصلاة، ومن اللغة فهمنا علة الوجوب، لكن كيف نصلي دون أن يضبط لنا عالم الفلك الميقات الزماني، ودخول الوقت؟ معنى ذلك أننا لا نستطيع الاستغناء عن هذه العلوم، فكلها علوم نافعة.

٢. الاعتماد على الدليل:

طالب الحق هو الوحيد الذي يحرص على الدليل، وفكرة استصحاب الدليل هي اليقين في أن التراث العربي والإسلامي طالبُ حق، وهذا داخل في كل العلوم والمعارف التي اشتمل عليها التراث، فدراسة علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة لا يكتمل فهمها إلا بتقديم الشاهد النحوي أو الصرفي أو البلاغي، وعلم الفقه لا يُبْنى إلا على الدليل، وعلم أصول الفقه لم يؤسس إلا على الدليل، كما أن علم العقيدة شمل الدليل النقلي والعقلي معاً، وهذا هو عين ما قصده ابن رشد بتصنيفه لكتاب (الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة).

٣. امتداد التراث زماناً ومكاناً:

يمتد التراث الإسلامي منذ خمسة عشر قرناً من الزمان وإلى الآن، والتاريخ يحدثنا أنه لا يوجد على ظهر المعمورة تراث مكتوب لأمة أخرى قد شغل هذه المدة الزمانية، "فكل الأمم تبدأ حياتها الفكرية بقليل من موروثات الآباء، ثم تنمو الحركة الفكرية في عصر الازدهار والرخاء ثم تمر بخطوط بيانية بين ارتفاع وانخفاض، بل ويمحى التراث أحياناً بمحو الأمة وإن بقيت بقية تدل عليه"، أما تراثنا فهو ممتد وموصول من الناحية التاريخية، لم يشهد انقطاعاً في أي جيل من أجيال هذه الأمة.

بل هو "حاضر معنا وفينا في مستويات شتى من الوجود الاجتماعي؛ فهو يتجلى في المعيش اليومي، في المساجد والكتب والمخطوطات والمؤتمرات والخطب، تجسيداً مادياً محسوباً، وهو إلى ذلك "مخزون نفسي في الجماهير "يوجه سلوك الناس، وقد يمثل عزاء لهم فيما هم فيه من ضيق عيش وقلة حيلة، فالتراث ليس حالة مَتْحَفِية للزينة والتفاخر، بل هو حيٌّ يفعل في الناس". فتراثنا يمتد فينا، ونعيشه كحقيقة وجودية يومية، وإن نحن خِلْنا أن الصلة به انقطعت أو تراخت وشائجها.

٤. انضباط المنهجية العلمية:

تصاعدت في الآونة الأخيرة وتيرة الاحتكام إلى ضوابط المنهج العلمي في تناول القضايا الفكرية والعلمية والثقافية، وتجاوبت فئة ليست بالقليلة مع هذا النداء، وقالوا الخير كل الخير في اعتماد المناهج العلمية التي وضعتها أروقة العلم الأوروبية بعد خروجها من عصور الظلام، ونسيت هذه الفئة أن المنهجية العلمية كانت السمة البارزة للتراث العربي والإسلامي، وأن علماء المسلمين كانوا خير من التزموا بضوابط هذا المنهج العلمي قبل أوروبا بعدة قرون، ولعل كتاب (مناهج البحث عند مفكري الإسلام) للدكتور علي سامي النشار خير دليل على هذا، وقد برزت هذه المنهجية في عدة إجراءات يمكن إجمالها فيما يلي:

أ. جمع المادة العلمية من مظانها المختلفة، واستقراؤها.

ب. ملاحظة المادة المجموعة، أو الظاهرة موضع الدراسة.

ت. تصنيف المادة العلمية في أصناف وأنماط يجمع بينها عامل مشترك حسب القضية المدروسة.

ث. المناقشة والتحليل.

ج. الترجيح بين الآراء إثباتاً ونقداً، وتوثيقاً ونقضاً، وتضعيفاً وتقوية.

ح. دعم الأحكام بأدلتها الإجمالية أو التفصيلية.

الموضوع الثاني: مبادئ التراث الإسلامي

ذكر د. عبد المجيد النجار[٧٤] أربعة مبادئ يقوم عليها التراث الإسلامي، وهي:

١. شرعية التخيُّر

التراث الإسلامي لئن كان محلاً للاحترام والتكريم كما تُوجِّه الأخلاق الإسلامية، وكما تَرسّب في ضمير الأمة، فإنه في ميزان التقدير الديني ليس بملزم الاتّباع، على سبيل أن يكون الاجتهاد التراثي في أي مجال من المجالات موجباً للتقيد به في الفهم أو في العمل، والوقوف عند مقتضياته في كشف الحقائق وتوجيه السلوك، بل هو متصف في ذلك بالإباحة الشرعية المخوِّلة للنظر فيه بالدرس والنقد والامتحان؛ ليؤخذ منه ويردّ وفق ما يقتضيه ميزان الحق، وما تستلزمه مصلحة الأمة.

٢. إلزامية العرض

إذا كان التراث غير ملزم دينياً بما فيه من الاجتهادات، فإن الأمر ليس كذلك منهجياً، فمن المقتضيات المنهجية في البحث عن الحق النظري للتوجيهات الدينية، والحق العملي لتنزيلها على واقع الحياة، أن يُبسط التراث كله على مائدة النظر للدرس والاستيعاب والتمثُّل، وذلك في سبيل الاستعانة باجتهادات السابقين على تبيُّن المراد الإلهي في اجتهاد الفهم، وتبيين ما فيه المصلحة في اجتهاد التطبيق، فالباحث عن الحق يكون وصوله إليه أضمن كلما وسع من دائرة المظانّ التي عسى أن تساعده على اكتشافه، فإذا ما قصر في ارتياد تلك المظان فإنه يكون قد أخل منهجياً بمقتضيات

---

[٧٤] د. عبد المجيد النجار، *مقاربات في قراءة التراث*، ص ٥٩-٧٩، ط. الدار المالكية، تونس العاصمة، ط١، ٢٠١٥م. بتصرف (اختصار وما يقتضيه).

البحث عن الحقيقة، والتحري في الكشف عنها، وذلك بإهماله لشطر كبير بل للشطر الأكبر من مظانها.

٣. تاريخ التراث

التراث الإسلامي متصف بالتاريخية الزمنية، في حين يوصف الوحي بالإطلاق الزمني، فالتراث ناشئ من تفاعل المسلمين مع ظروفهم الحياتية في تطبيق أوامر الدين عليها، وهذه الظروف تتغير بتغير الزمن، فيكون لكل ظرف منها اعتباراته الخاصة في التفاعل مع الوحي فهماً وتنزيلاً، ومن ذلك ينشأ التراث لصيقاً بالتاريخ وأحداثه، فيكون متصفاً بالتاريخية الزمنية لا بالإطلاق المجرد عن الزمن.

٤. شمولية التداول

من المبادئ المهمة في تقويم التراث وتوظيفه: الشمولية في تداوله بين المسلمين بأكبر قدر ممكن، بحيث يصير ما هو متاح منه معروضاً لنظر الدارس بصفة تخلو من استبعاد أي جزء منه بناء على اعتبارات مذهبية أو غيرها، بل يمتد إليه البحث في كل مظانه بناء على اعتباره تجربة ماضية للأمة تتساوى مفرداتها منهجياً من حيث الاهتمام بها وتداولها بالبحث والدرس.

بين يدي الكتاب

يأتي هذا الكتاب مُساعدًا لطلبة السَّنة التَّحضيريَّة في مركز الدِّراسات الأساسيَّة التَّابع للجامعة الإسلاميَّة العالميَّة بماليزيا في التعرف على علوم، وموضوعات معارف الوحي، والتراث الإسلامي؛ لتكون مساعدا لهم عند اختيار التخصص، وكذلك اختيار المواد عند إكمال الدراسة في المستوى الجامعي في مرحلة البكالوريوس.

يبدأ الكتاب بتعريف المعرفة، والوحي، وأنواعه، لينتقل بعدها في الكلام عن القرآن الذي هو كلام الله سبحانه وتعالى، وتعريفه في كتب التراث الإسلامي، فضلا عن حجيته من خلال نصوص القرآن، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وإجماع العلماء، وأنواع الإعجاز في القرآن.

يتحدث الكتاب أيضا عن السنة النبوية المطهرة، ومكانتها في الإسلام، وحجيتها، وأنواع الحديث، والفرق بين الحديث القدسي، والحديث، وبين الحديث القدسي والقرآن، كما يذكر الكتاب قائمة بأسماء كتب السنة المعتمدة عند أهل السنة والجماعة.

علم التوحيد هو أحد فصل الكتاب، حيث تم تعريفه، وذكر أنواع، والكتب المؤلفة فيه، وحجيته من القرآن، والسنة، والإجماع، والعقل، كما تكلم الكتاب عن مراحل تدوين مؤلفات علم التوحيد، مع قائمة بمصنفات علم التوحيد.

كما تطرق الكتاب إلى التشريع الإسلامي، وحجيته، والفرق بينه وبين التشريع الوضعي، وأهميته، وخصائصه.

أما التراث الإسلامي فقد تم تعريفه، وبيان أهميته في التعليم، والعمارة، والسياسة، وفي الأدب والشعر. وقام المؤلفون ببيان تدوين التراث الإسلامي، وأهمية ذلك في توحيد الأمة، كما ذكر الكتاب خصائص التراث الإسلامي.

نسأل الباري تبارك وتعالى أن يجعل الخير في هذا الكتاب، وأن يخلص نياتنا في كتابته، راجين من الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا، وهو الغفور الرحيم

المؤلفون